فان التزيد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها لانها تقوم في
آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا
اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين
فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام
وقيل الاعلام هي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون
مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم
البعث ردوا بذلك ما قالوه واكدوه باليمين كانهم من وجاهتهم لم يعرفوا ان فهذا يوم البعث الموعود الذي كانوا انكروه
وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق طاقة ويعترون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوه [illegible] العالمون معالمهم
وهو هم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونهم في الاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث
الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف [illegible]
قالوا فان كان اقصى ما [illegible] ثم الفصول [illegible] فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ ينفع بالتاء لتانيث
على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتابهم من التوبة
والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل اي ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن
جئتهم باية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين
لهم وللمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق
فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصر واظهار الدين
واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم
من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون
ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق [illegible] فيملكوك ويكونوا
احق بك من المؤمنين وايا ما كان [illegible] نظم القرآن الكريم وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن استحقاقه لكنه في الحقيقة نهي عن [illegible]
والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته صدق رسول الله

سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بصفة تعالى على الاسناد
الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا استكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل

كما قالوا

كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو تخييل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيها
معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران او خبر لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين العاملين للحسنات
فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوه
من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه
الثلثة بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة المحسنين والوجه
الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل
مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم طرفي العلم والعمل وتقدم ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بالاعراب عليه ومن
ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله من يشتري لهو الحديث موصولة
او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والتبعيض وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة
والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله ومن الناس من
يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي
لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيض ان
اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في نضر بن حارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة
من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه او من قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء
اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي جاهلا بما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن
ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام والقرآن اي ويتخذها هزوا
مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر
من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه
اي على المشتري او الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينها باعتبار معناها آياتنا
آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير
ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو
سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها
كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه
ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استئنافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اي اعلمه بان
العذاب يلحقه لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين على
اثر بيان حال الكافرين بها اي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم
نعيم جنات عكس للمبالغة وجملة خبران والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر وجنات النعيم مرفوعا به [illegible]
خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميرها والعامل ما يتعلق به اللام وعد الله حقا مصدران
مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد [illegible]

[illegible]

على معنى الثبات أكثر بمعنى الوعد ومؤكد لها بما يعالهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من انجاز وعده الحكيم
الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل من عزته
القدرة والحكمة التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله والعماد
كأهب جمع إهاب [illegible]

[illegible]

لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما
يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للانسان المستعملة له من جماد وحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون
سبباً لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً أو
معاداً وإما جعله منقاداً للأمر مذللاً على أن معنى لكم لأجلكم فإن جميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخرة لله تع مستتبعة
لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وإن كان مسخراً له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تع وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه
الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في
توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عم ولا كتاب منير أنزله الله تع بل بمجرد التقليد وإذا قيل لهم
أي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الأصنام أولو كان الشيطان
يدعوهم أي آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار إنكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم
كذلك أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك إلى عذاب السعير فهم متوجهون إليه حسب
دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تع أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون من سورة
البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه إلى الله بأن فوض إليه جميع أموره وأقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص
وقرئ بالتشديد وهو محسن أي في أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل
فقد استمسك بالعروة الوثقى أي تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة
بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه وإلى الله لا إلى أحد غيره عاقبة الأمور فيجازيه
أحسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن
بكسر الزاي والأول منقول من حزن بفتحها إلينا مرجعهم لا إلى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في
الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الأول باعتبار لفظها إن الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة
المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلاً تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل ثم
نضطرهم إلى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف قل الحمد لله على أن جعل دلائل التوحيد
بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً بل أكثرهم لا يعلمون شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون
أن ذلك يلزمهم لله ما في السموات والأرض فلا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق
للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان حاله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أي لو
ثبت أن الأشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده أي من بعد نفاده سبعة أبحر أي والحال أن البحر
المحيط بسعته يمده الأبحر السبعة مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات
الله ونفدت تلك الأقلام والمداد كما في قوله تع لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الإمداد بالياء والتاء
وإسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية
وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها ينصب إلى البحر المحيط ثانياً وإيثار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر
لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم

ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أي إلا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي إذ لا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تع إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون إن الله سميع يسمع كل مسموع بصير
ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصاناً
وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين
فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل كل يجري أي بحسب حركته الخاصة وحركته
القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً إلى أجل مسمى قدره الله تع لجريهما وهو يوم
القيامة كما روي عن الحسن رح فإنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق
الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عم يجوز أن يكون حالاً من الشمس والقمر فإن جريهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته
عم هذا ولو جعل جريهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى منتهى دورتهما وجعل مدة جريان الشمس سنة والقمر
شهراً فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إيلاج أحد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها
اليومية فكلما كان جريانها متوجهاً إلى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبراً فيزداد النهار طولاً بانضمام
بعض أجزاء الليل إليه إلى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات إلى سمت الرأس وذلك عند بلوغها إلى رأس السرطان ثم ترجع
متوجهة إلى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الأرض تزداد صغراً فيزداد النهار
قصراً بانضمام بعض أجزائه إلى الليل إلى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها الجدي
وقوله تع وأن الله بما تعملون خبير عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه
فإن من شاهد مثل هذا الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطاً بجلائل أعماله ودقائقها ذلك
إشارة إلى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تع بأن الله هو الحق
أي بسبب بيان أنه تع هو الحق إلهيته فقط ولأجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وأن ما يدعون من دونه الباطل أي ولأجل بيان
بطلان إلهية ما يدعون من دونه تع لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالياء والتصريح بذلك مع أن الدلالة
على اختصاص حقية الإلهية به تع مستتبعة للدلالة على بطلان إلهية ما عداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد والإيذان بأن
الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضاً وأن الله هو العلي الكبير أي ولبيان أنه تع هو المرتفع
عن كل شيء المتسلط عليه فإن ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تع أي بيان هذا وقيل ذلك
أي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تع به بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع
جهاته أو الثابت إلهيته وأنت خبير بأن حقيته تع وعلوه وكبرياءه وإن كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الأحكام المعدودة لكن بطلان
إلهية الأصنام لا دخل له في المناطية قطعاً فلا مساغ لنظمه في سلك الأسباب بل هو عكس للأمر ضرورة أن الأحكام المذكورة هي
المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد
آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول إنعامه والباء إما متعلقة بتجري أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسة بنعمته تعالى
وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته أي بعض دلائل وحدته
وعلمه وقدرته وقوله تع إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله أي إن فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها
لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الأنفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن
فكأنه قيل لكل مؤمن وإذا غشيهم أي علاهم وأحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال

جميع خلقه وفضله وضلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او هو مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلافه اصلا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء منها فتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلته وسائر التعرف وسعه لم يعرف ما هو الاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان لقمان له رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى بالم تنزيل الكتاب وقد مر ان الاولى ان يجعل عنوانا للموضوع وحقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه اذ لا عهد بالتسمية قبل تحقيق الاخبار بها لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو

الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل عصرك او من قبل انذارك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتأتى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وثالث على الوجهين الاخرين واما ما كان تحكمه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سبق ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني الى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله تعالى باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش واختصاص الولاية والنصرة به على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه خبر اخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل الاشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني وخلقه بمعنى المخلوق وضميره لله تعالى على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدا خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ ادم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعدادها المتفاوت قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اي ذريته سميت به لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه

خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا له مناسبة إلى الحضرة الربوبية وأن أقصى ما ينتهي إليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي
يعبر عنه تارة بالإضافة إليه تعالى وأخرى بالنسبة إلى أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
[illegible] واللام متعلقة بجعل والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بحسن النظم
الكريم أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية
الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها إلى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم
الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي
على أن القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة
وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المبني على استعداده للفهم وصلاحيته له من [illegible] وقالوا كلام
مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذانا بأن ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للإعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة أإذا ضللنا في الأرض أي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الأرض بحيث لا نتميز منه أو غبنا فيها وقرئ ضللنا بكسر اللام
من ضل يضل وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم إذا أنتن وقيل من الصلة وهي الأرض أي صرنا من جنس الصلة والقائل أبي بن خلف
وإسناده إليهم لرضاهم بقوله والعامل في إذا ما يدل عليه قوله تعالى أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا والهمزة لتذكير
الإنكار السابق وتأكيده وقرئ إنا على الخبر وأياما كان فليس المراد بتأكيد الإنكار إنكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على
أن فإنها مؤخرة في الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون إضراب وانتقال من
بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأهوال
جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا الإماتة يعنون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة
للحيوان بموجب الجبلة أي يقبض أرواحكم بحيث لا يترك منكم شيئا ولا يترك منكم أحدا على أن يكون من الوجود والطبع
ضرب وجوههم وأدبارهم الذي وكل بكم أي بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ثم إلى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى إذ المجرمون
وهم القائلون أإذا ضللنا في الأرض الخ أو جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائح أعمالهم التي
اقترفوها في الدنيا ربنا أي يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات
المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى إنا موقنون ادعاء
منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا
وكنا من قبل لا نعقل شيئا أصلا وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهارا لثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد
في الاستدعاء طمعا في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له
مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا
قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وأما
قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا
بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل سمعنا قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو تكون
منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبئ عنه صلة إذ والمضي فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة
الواقع وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان إذ المراد
بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة

جدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علق بهم الخطاب بالقصد لبيان
أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته براء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب
فقد نأى عن تحقيق الحق لأن المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما ينطق به الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق
المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا أي ونقول لو شئنا
أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح
لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حق القول مني أي سبق وثبت قضائي حيث قلت لإبليس
عند قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين
وهو المعني بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول
لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم إلى الغي بإغوائه ومشيئتنا
لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناه الذين اختاروه
من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى في الحقيقة
سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية
من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اختيارا متفرعة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وإنما مناطها علمه تعالى أزلا
بصرف اختيارهم فيما سيأتي إلى الغي وإيثارهم له على الهدى فلو أريد بها هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها [illegible]
بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فمن توهم أن المعنى لو شئنا لأعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف
الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره فقد اشتبه عليه الشئون والفاء في
قوله تعالى فذوقوا لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجوع إلى الدنيا أو الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما
نسيتم لقاء يومكم هذا للإيذان بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب
موجب له من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم إلى الدنيا أو حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم
التفكر فيه والاستعداد له بالكلية إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان
بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال
كل منها في استيجاب العذاب وفي إبهام المذوق أولا وبيانه ثانيا بتكرير الأمر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط
بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم
لإيتاء الهدى والإشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل إنكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها
عملا صالحا ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنما يؤمن بها الذين إذا ذكروا بها
أي وعظوا بها خروا سجدا أثر ذي أثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف إلى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد أي سقطوا
على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم أي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الأمور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين
بحمده تعالى على نعمائه التي أجلها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة
إلى ضميرهم للإشعار بعلة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون أي والحال أنهم
خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى عن المضاجع أي الفرش

وهو اوضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضه نزلت فينا معاشر الانصار
كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي عم
كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضه
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عم افضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي عم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله تعالى
في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير
جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته وثمار رضاه ومما رزقناهم من المال ينفقون
في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك
الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي
لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها
الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا
اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي بعد ظهور ما بينهما من التباين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت
اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة
على ابلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى
لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من
تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية
بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم
ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار
مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرفعهم الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون
الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا
عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا وهو ما محنوا
به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في حيوة
يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضه يوم بدر فنزلت هذه الآية ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد
وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء
الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي
المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل

ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه
على ان ايتاءه لرسول الله عم كايتائها لموسى عم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن
والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره
وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عم وعنه عم رأيت ليلة اسري بي موسى عم رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة
وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى عم هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك
او بتوفيقنا له لما صبروا واحيي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك اذ جئتني والضمير للائمة بتقدير لما صبروا جعلناهم ائمة وقرئ
ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم
عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن
الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم
وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو
للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين
والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا
من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ضميره
تعالى فقوله تعالى كم اهلكنا الخ استئناف مبين لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم و
بلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا
للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك
الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل
بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال
قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان
اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين
في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى
يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا
عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار
قيل للمستعجلين المكذبين قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظ واما على الآخرين فالموصول
عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا
آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا
انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية
ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب

المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد
منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في
الدين واعطاء الدنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عم
في الموادعة التي كانت بينه عم وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله عم ارفض ذكر آلهتنا
وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي عم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ
الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا
في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه
الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وما تذر من امور الدين ما يوحى اليك
من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية
لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول عم والجمع للتعظيم وقيل له عم وللمؤمنين
وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على طريق التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر
وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على
كل منهما جزاءه ثوابا او عقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله الكفار والمنافقون من كيد
الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في حقهم
ويرد ما فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا
اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عم باتباعه وهذا مثل ضربه الله تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما
وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف
واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري ذو القلبين
اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في
امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى
نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة والبنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة
ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة
على الدعي ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن
لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى
حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان

الزوجة

وتظاهرون

الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللائي وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وبادغام التاء الثانية
في الظاء وتظهرون من اظهر وتظهرون من تظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا والادعياء جمع دعي وهو الذي
يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم
اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم
بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله
يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم
اي انسبوهم اليهم وخصصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى
واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى
فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية
والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ولكن الاثم فيما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم
التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل عتقه على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان ممن
يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به
الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عم احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
اقدم من شفقتهم عليها روي انه عم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت
وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم اي منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة
رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولو الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما
كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث
او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث
من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من
النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا
في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للايذان بمزيد
مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عم لابانة خطره الجليل
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف
مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع
الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما
سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله

ثم يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من
ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد
للكافرين عذابا أليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل فإن التوجيه بأن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين او
بأن المعنى ان الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة الى دينه لأجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه منتظم الى كون بيان اعداد العذاب الأليم
للكافرين من غير معقود بالذات فتجويز عطفه على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قيل فأثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم أي تحصل النعمة مصدر أي ما تعلق بها من الصنع بمحذوف هو حال منها أي كائنة عليكم إذ جاءتكم
جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الأحزاب
وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة
باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز
كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن
عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب اقبلوا تعنق بهم خيولهم
وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من
المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام فقال لا حاجة لي به فقال اني ادعوك الى النزال فقال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك
فقال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل
على علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه
بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر
قوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة
وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الأوتاد
وقطعت الأطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء أي بما يعمل الكفار
من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله إذ جاءوكم بدل من إذ جاءتكم
من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن
وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن أسفل منكم أي من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الأحابيش
وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف وإذ زاغت الأبصار عطف على ما قبله داخل معه في
حكم التذكير أي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها
وبلغت القلوب الحناجر لأن الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو
مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان
على الاطلاق أي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه

ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فيخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون
بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او مكان لما بعده أي في ذلك الزمان
الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون أي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا
شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي وإذ يقول المنافقون عطف على إذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار
القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض أي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا
غرورا أي وعدا مغرورا قيل قائله معتب بن قشير واضرابه قال يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز
فرقا ما هذا الا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب
هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم البقعة التي المدينة في ناحية منها وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة
كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع
لكم هاهنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة امروهم بالرجوع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايذانا بانه ليس من قبيل الامر المذموم وقيل المعنى لا مقام لكم في دين محمد فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك
او فارجعوا كفارا ليمكنوه عليه ويسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها والاول هو الانسب
لما بعده فإن قوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة
وبنو سلمة استأذنوه في الرجوع ممتثلين بأمرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على
السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة أي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة
في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما
هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تقرير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون
بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها مطلقا
كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور لا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها أي من جميع
جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا
من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة أي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان
والطاعة لآتوها لأعطوها مبالين بها من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أي لفعلوها وجاؤوها
وما تلبثوا بها بالفتنة أي ما لبثوا باعطائها وما توقفوا الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال
البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما
تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل مما يخل بسداد النظم
لما ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم فمن فرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى
الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم الاعداء المباشرون للقتال للمؤمنين المصرون على الاضرار بهم
المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال فمنهم من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما اعطى الله اهل بدر

من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله تعالى قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضيا حتى يوفى به
وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف
أو قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة
أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله عم وهم المنافقون والقائلين
لإخوانهم من منافقي المدينة هلم إلينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر أو قرب يستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز
وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر
متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا أي إتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا
فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا
قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا وقيل من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب
ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على
الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم
في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم
أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كالذي
أو تدور أعينهم كدوران عينه أو مدورة أعينهم كعينه فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم
عليه والسلق البسط بقهر باليد أو اللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية أو الذم ويؤيده قراءة بالرفع
أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم أي أظهر بطلانها إذ لم تثبت
لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا وكان ذلك الإحباط على
الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يحبطها لكمال تعاضد الدواعي
وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا
ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون
إلى البدو وحاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون
ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه فإن
صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسند إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور
ونظائره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء
وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم
الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله ولمن كان صلة لحسنة أو صفة
لها وقيل بدل من لكم والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا أي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا

فإن المثابرة على ذكره تعالى يؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله عم ولما رأى المؤمنون الأحزاب
بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا
لهم قالوا هذا مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ
كما في قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أو إلى الخطب والبلاء من نتائج النظر الجليل فتذكير
نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك العنوان أول ما خطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم
بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء إلى قوله تعالى
ألا إن نصر الله قريب وقوله عم سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عم إن الأحزاب سائرون إليكم
بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب
كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم أي ما رأوه إلا إيمانا بالله تعالى ومواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره
من المؤمنين أي المؤمنين بالإخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع رسول الله عم والمقاتلة لإعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حربا
مع رسول الله عم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
ابن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني إذا قال الصدق ومحل ما
عاهدوا النصب إما بنزع الخافض وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقني سن بكره أي في سنه وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقا
على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لهم يا بني الأعداء إن لم تجزي وقالوا له سنفي وقوله صدقته
ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب
النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئا من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء
على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة
كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن مالك وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على
حقيقته بأن يكون منذورهم أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المفضية بحسب العادة إلى الموت ولا بد حال النذر والموت
شهيدا أو كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتي ومنهم أي وبعضهم أو وبعض منهم من ينتظر أي قضاء نحبه لكونه موقتا
كعثمان وطلحة وغيرهم ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات
مع رسول الله عم والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيدا
ويجوز أن يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام
نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأيا ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ
عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله
فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا أي تبديلا ما لا أصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه وراعين لحقوقه على أحسن ما
يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للنوع الأول مع ظهور حالهم للإيذان
بمساواة النوع الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روي أن طلحة
رضي الله عنه ثبت مع رسول الله عم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عم في رواية جابر من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر

606

من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى ونقلت فتحتها الى ما قبلها كما في ظلن او من قار يقار اذا اجتمع
وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى
رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل
تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة
تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل من داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة خصهما بالذكر
لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تؤمرن به لا سيما فيما امرتن به
ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك
عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت اي اذهب عنكم يا اهل بيت النبوة ويطهركم من
اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة
على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم
واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة رضي فادخلها فيه ثم جاء
علي رضي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على
كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك فلا اعتداد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن
ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين كونه آيات الله البينة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بالنعم عليهن حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار
فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل
البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوة
غيرهن تعلما وتعليما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة
ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله من الذكور والاناث
والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة في القول والعمل والصادقين
والصابرات والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم
والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من
الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
الحميدة روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما انزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المؤمنين ما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين
فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه

النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله
امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره او للاشعار بان قضاءه قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة
بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها
للنبي فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي
يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة
لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول ثم جمع للتعظيم وقرئ يكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور
ويعمل فيه برأيه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ورعايته وانعمت عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون
الاحسان التي من جملتها الحرية وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه من اظهار خلاف ما في ضميره
اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب
وذلك انه ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا انفكاك للبشر عنها فقال سبحان مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان
افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو
للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه او جعلها
زوجة بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلعم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة
في ازواج ادعيائهم في جواز تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا اذا كان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه
وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي امره الذي يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة كما كان
تزويج زينب ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر
من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا و
جندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم باب
النكاح وغيره ولقد كانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى
وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج
وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه
في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخشون منها احدا ولا يخافون في ذلك لومة لائم ولا يخشون
احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعريض بعد التصريح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا
للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه ما كان محمد ابا احد من

رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر و
القاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول
ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وزيد واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم
وبينه عم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقرب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذين ختموا به
وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وايا ما كان فلو كان نبيا ولا يقدح فيه
نزول عيسى عم بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد عم
مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم ممن لا يعلمها يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ام
على التسبيح بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات
بل للابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا
الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم استئناف جار مجرى
التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تع عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه
تع عليهم من ذكره تع وتسبيحه وقوله تع وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد
الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد به معنى مجازي
عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له
او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في
ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب الرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتبار لنوع
الجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة وقوله تع وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم
على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تع تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته
تع بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية باخراجهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى المفعول
يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله تع وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة
او تكرمة لهم كما في قوله تع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى
واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل
ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب
والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة
الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة
بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم
وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وسائر
ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لانه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا
بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن

القبلة

عن القبلة المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى
بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس
وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق
التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة
في الانذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على
التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال بايذائهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار و
توكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه تع يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عم بنعوت خمسة قوبل كل منها
بما يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة لغاية ظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر انفا
وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حقق وقوبل الداعي اليه باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث
انه عبارة عن الاستمداد منه تع والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تع فان من ايده الله تع بالقوة القدسية ورشحه للنبوة
وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من جانب الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والا
سناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تع فما لكم الآية وقرئ تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء او على
من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على
ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر في العدة
كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفوض لها المتعة دون المسمى لها فان لها نصف المسمى دون المتعة
عندنا في رواية وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا
يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن
اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له ليس لتوقف
الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له كتقييد
احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تع وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء
امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تع وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عم خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب
خطبني رسول الله عم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تع هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر
ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لا مطلقا بل عند ارادته عم استنكاحها كما نطق به قوله تع ان اراد النبي ان يستنكحها اي
ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة
لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا وسلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي

لم يكن عنده عليه السلام منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت
جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في مقابلة الوصفين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم
فيختص عليه السلام بحسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر
غير عزيز كالعافية والعاقبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله من دون المؤمنين
على الاول ان الاحلال المذكور على الوجه المعهود غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال على الشرائط وعلى الثاني ان احلال
الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز للمؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل
ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من
خلوص الاحلال المذكور لرسول الله عليه السلام وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه
عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة
يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج
اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار
انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك
وسع الامر في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك
من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت
اي طلبت ممن عزلت طلقته بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق
او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجأ
منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة رضه وحفصة
وام سلمة وزينب ارجأ خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت
ليلتها لعائشة رضه وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تأكيد
لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه
حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث
الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل
والهجران ولا ان تبدل بهن اي تتبدل بحذف احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن و
تنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن
وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة
بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية

اسامي ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات
والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن
فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من وظائف
البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم قيل هي اسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضه اي ممن اعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله
تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
وقيل بالسنة وعن عائشة رضه ما مات عليه السلام حتى احل له النساء الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء
وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي عليه السلام اثر بيان ما يجب مراعاته
عليه عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال
من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان
يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك ان
يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا يحسن
ان تدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال
من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك ولكن
اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو
الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لان الخطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي عليه السلام فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم
ولا مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين الا ان ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من
اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم
فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف
الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اي شيئا
يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضه قال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل
منهم يد عائشة رضه فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث
عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم
اي ما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من

بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وفاته مع نفي البعد للايذان
بعلو منزلته في الشرف والفضل كان عند الله عظيما امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه لشان رسوله عم وايجاب
حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن استثناء لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء و
والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين
ولذلك سمي العم ابا في قوله تع واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات
فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات
لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا
نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين
الله في كل ما تأتين وتذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت
في علمه الاحوال ان الله وملائكته يصلون على النبي عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر
ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس
اراد ان الله يرحمه وملائكته يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تع ثناؤه عليه عند الملائكة
وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون
بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم
او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عم من ذكرت عنده
فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عم قال وكل الله بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار
الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه
في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد فليس بشرط
في جواز الصلوة عندنا وعن ابرهيم النخعي ان الصحابة رضه كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي
واما الشافعي رح فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عم فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار
ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يرتكبان
ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجاز لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تع وقيل في ايذائه تع هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون

في آياته وفي ايذاء الرسول عم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح
صفية والحق هو العموم فيهما وان ما ايذاؤه عم خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل للتعظيم والايذان بجلالة مقداره عنده تع وان ايذاءه
عم ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع
ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من
قول او فعل وتقييده بقوله تع بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله
ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا وقيل انها نزلت في منافقين
كانوا يؤذون عليا رضه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء
ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من
اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي عم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع
ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل الملحفة وكل ما يتستر به اي
يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من المعهود والتلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي
تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن يميزن عن الاماء
والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن
من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هذه الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه
الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة
عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف
التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم
واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولما كان ذلك من اعظم ما يصيبهم عطف على جواب القسم بثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول عم اعظم ما يصيبهم فيها اي المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين
نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تع اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية
وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عم وسعوا في توهينهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسئلك الناس عن الساعة اي عن وقت
قيامها كان المشركون يسألونه عم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تع عمى وقتها في التورية
وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تع وما يدريك خطاب مستقل له عم غير
داخل تحت الامر مسوق لبيان ان الساعة مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها
اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه
على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار
في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم
من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده
تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما
يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الإنسان تحت ملكوته ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا
عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل
الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى
إثر بيان اختصاص الدنيوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود
عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضا
فيها بل ليعم النعم الأخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما
يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح والفرق بين
الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد
ورد في الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير
ببواطن الأشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الأرض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي نيطت بها
مصالحهم الدينية والدنيوية أي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والأموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان و
ماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها
كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنفي إتيانها
نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود
الأمور الزمانية المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور وقيل هو استبطاء لإتيانها الموعود بطريق
الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها وقوله تعالى وربي لتأتينكم
تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها وقرئ ليأتينكم على أن الضمير للساعة بمعنى اليوم أو الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ
وتشديد له إثر تأكيده بالقسم وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فإن تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن
بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك في حكم الاستشهاد على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل
وأعلى كان الشهادة آكد وأقوى والمستشهد عليه أثبت وأمضى ولما كان أخص بالأكرم من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فإن وصفه بعلم الغيب الذي أشهر أفراده
وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الأمر باليمين مع أن
لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا فإنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وإنما لم يصدقوه
مكابرة وقرئ علام الغيوب وعالم الغيب بالرفع على المدح لا يعزب عنه أي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء
مثقال ذرة مقدار أصغر نملة في السموات ولا في الأرض أي كائنة فيهما ولا أصغر من ذلك أي من مثقال ذرة ولا أكبر
أي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى إلا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر
بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز العطف على مثقال ولا على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون

المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضي
إتيانها أولئك إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل
والشرف أي أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو
عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
أي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب [illegible]
ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى أليم بالرفع صفة عذاب أي
أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الإيلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين أوتوا
العلم أي يعلم أولوا العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب وأضرابهما رضي الله عنهم الذي أنزل إليك من ربك أي القرآن هو الحق بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول
الأول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى
استئناف مسوق للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفا على ليجزي
أي وليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويحتجوا على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولي العلم
من لم يؤمن من الأحبار أي ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم
لأنه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك
هو الحق وهاديا إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال من الذي أنزل على إضمار مبتدأ أي هو
يهدي كما في قوله قمت وأصك عينه وقال الذين كفروا وهم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية فكأنهم قالوا ينبئكم أي يحدثكم بأعجب الأعاجيب
وقرئ ينبيكم من الإنباء إذا مزقتم كل ممزق أي متم وفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا إنكم
لفي خلق جديد أي مستقرون فيه عدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا
للإشباع في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لأن ما بعد إن لا يعمل فيما
قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه أم تباع
افترى على الله كذبا فيما قاله أم به جنة أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق
والكذب واسطة هو ما لا يكون من الأخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريق الاستفهام بالإضراب على شقيه
وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عليه السلام كأنه قيل
ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي
إليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم
ويفت في أعضادهم والإشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال
للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة
وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض
استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام من العظائم الموجبة

لم نزل اشتد العقاب وحلول الفظيع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشاء
الإيمان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة
اي أغفلوا اما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ان نشاء
به يا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها
على اصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه
ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض
ولم يتفكروا انهم اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات
فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما
ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما يتلى من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد
منيب شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على
التوبة والانابة وقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على
سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب
والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا
علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له
فاذا ورد تمكن عندها فضل تمكن يا جبال أوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك
اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ أوبي من الاوب اي ارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين
وكان الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باعتبار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير
بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير
مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع
عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه
وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشيئة بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو
منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب
وألنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة
الى قوته التي آتيناه اياه لينا كالشمع بالنسبة الى القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها
الباء وحملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الصافية
وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون
في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود
فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال
فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد
في نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا وزدبان درو عه

لم يكن مستمرة كما ينبئ عنه الآية الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تفرق في ضيق او فاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوة واما التاء
فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا تعميم للخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله اني بما تعملون بصير
تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها
شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها
وروحتها عن الحسن انه كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه ببابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند
ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون ان شاء الله تعالى بالشام واسلنا له عين القطر اي النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان
الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام
وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة باذن ربه بامره
تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ يزغ على البناء للمفعول
من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة وروي عن السدي انه كان معه ملك بيده سوط من نار
كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب بيان لما
اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور
الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لانها
يجبى فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ بإثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر
لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او مصدر لفعل محذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل
من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم يكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
عليه السلام ما دلهم اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعل
الارضة يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فأرضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته
اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منسأته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة
وباخراجها بين بين عند الوقف ومنسأته على مفعالة كميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة
القوس وفيها لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منسأته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد
التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء
اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا وقرئ تبينت
الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في تحقيقه هو ان مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن

في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود ع اسس
بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى ع فتوفي قبل تمامه فوصى به سليمان ع فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه
حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير
ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت
الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى ع فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به
شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ع ثلثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا
بيان لاخبار بعض الحامدين لنعم الله اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخرجه بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف
كالمسجد وقرئ بالجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال آية
دالة بملاحظة احوال السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان ع جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه
معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما
نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين
لموجب الشكر المأمور به اي بلدتكم طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات ويطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل
بيدها وتسير بين الاشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر
بعد اتيانه الآيات الواضحة لهم اليه فقيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا
عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع
عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للمسناة التي تجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة
بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم
الجرذ الذي نقب عليهم السكر وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله على سكرهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ
العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم
وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل [illegible]
من كل شيء وقيل ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وتخفيف الاكل واثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على
جنتين وقيل وصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان

614

يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد منهما هو
الثاني قيل وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك
اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للاشارة الى بعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول
النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم [illegible]
او ذلك التبديل جزيناهم لا التجزية بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل
وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي مثل هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ويجازى
على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل تجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم ولما فعلوا
بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التفرقة والتكرير من زيادة تنبيه
وتذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بما فعل بهم او بانه [illegible] وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من حسن
النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض
لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير
جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح
منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعم وتوفير الحاجة في الحضر والسفر سيروا فيها على
ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا وانما ملك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل
ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت
ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه
واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا
العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر
ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها
على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا
بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا
وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجرون على الله تعالى ويتجاوزون عليه وظلموا
انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس
بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان
تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وعطفه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى
اي فرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا وبينهما اثنا عشر ابا وهو
الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري
ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى
بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل ع وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو

وما فصل بين جزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها كالتبيين لما اوتوا من النعم البادية في مساكنهم ومتاجرهم وما فعلوا الكافر من الكفران

بن عامر فسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فاقاموا
معه اياما فاتهم منه ما جهم ولم يتفق منهم الا التئبرد وقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج
ورجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج
ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو
لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عم فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان فروة بن مسيك الغطيفي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن
وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ثم تلف
اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا ببطن مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا يثرب
فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فخالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم ونزلت طوائف اخرى منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا
تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت
والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم
ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لايات عظيمة لكل صبار شكور اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق
الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هولاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنا ويكون نصبه بالفعل المذكور لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس
ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته
اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم
فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان
تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالاخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز
من الشاك او الا لنؤمن من قدر ايمانه ونشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل
شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متاخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم
ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله
من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم
او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية
والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لالهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى
منهم من الهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله

يوم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واما على النفي نفيها الا ... تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من
النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء
الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على
الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل
من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتاهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي
شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن
لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته
اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا
للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع
بمعزل عن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى
غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار
للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا
حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون
ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي
قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي
المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء
للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد
المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف وهو عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وقرئ بالتشديد مع التخفيف اذا صيغ
فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ ... حال الشفاعة وقرئ افرنقع
عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عم بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم
لا يملكون مثقال ذرة فيها وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عم قل الله اذ لا جواب
سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق
والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد
الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى
ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وانا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال
كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع خروجا عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون
وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم

اي الاذن والتمكن ... صح

من ... صح

ومطلع العمل الى التي طلبتم منها اعمالكم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا
ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم
بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه اظهار خطائهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رأيهم اي اروني بها لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه
مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف
بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير لله عز وجل
او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا
من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون
به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين
قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم
لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما
لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وتخيير بانه وارد لا محالة ان يكون عن الاستخبار والانكار
عن معتقد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا
بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله ﷺ
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون
المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع اي يقول الاتباع للذين استكبروا اي للرؤساء الذين استتبعوهم
في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول ﷺ قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا
في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان
مثبتين انهم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف
اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل
صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب
اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما يسمى من الاتساع
في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله تعالى
اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي على ان المراد بمكرهم نفس امرهم
بما ذكر في قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجليلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة
واما امرهم فمقارنة لا عداء داعية للامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب

اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب
لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب
اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملون على نزع الجار وما ارسلنا في قرية
من القرى من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله ﷺ مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما
جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم
من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل نذيرا الى اهل قرية من القرى الا قال مترفوهم مثل ما قال
مترفوا اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا
انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم ذلك الى الآن حيث
بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الآخرة راسا او على اعتقاد
انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه
يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من المبسوط لهم
داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق
عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كل ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس
على ذلك امر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق
الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف
من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة
اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء كان او غير عقلاء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم
وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن
الصالح الذي انفق امواله في سبيله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف
المضاف اي الا اموال من فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل
الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك او ما بعده مرتفع
على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى مفعوله اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على
فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل منه
بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ
في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
اي يوسع عليه تارة ويقدر له اي يضيق عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم

يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويومهم ظرف لمضمر مثل ساء الامر او
مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني الآية واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر
شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه
قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون تنزيها وتعجبا من ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى
صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم
من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت
فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب اليهم الكفرة
يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء
ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم
النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة
لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما
لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد الحكم
بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف
على يقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مرتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لما سيقال
الله ام ما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا و
يقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم
بلسان الرسول آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة
الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى بنسبته
الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان
بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي
تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت
بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها
ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب

ان لم يشركوا او يعدوا بان من قبل الله لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه
لآرائهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين بطريق التفصيل والتفسير كقوله
كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة
اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ
محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى
وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط الافكار وفي تقديم
مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم
من جنة استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا
يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه
وقد علمتم انه صلى الله عليه وسلم ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات
البشرية فوجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق
بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به
من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه صلى الله عليه وسلم مبعوث في نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال
لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه قرباهم
ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي
يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف
او خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر العين وبالفتح كصبور مبالغة
غائب قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ
من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد افقر من اهله
عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما
استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه
بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وان بالغ في اخفائهما ولو ترى
اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا
البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا
من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم
والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محل لا فوت

هنا وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناوش
التناول السهل اي من اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في
الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على
قلب الواو لضمها ... من نأشت الشيء اذا طلبته ... والتناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت
وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل اي من قبل ذلك في اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان
بعيد من جهة بعيدة من حاله حيث ينسبونه الى الشعر والسحر والكذب وأي بعد ابعد مما جاء به الشعر والسحر والبعد شيء
من عادته المعروفة فيما بين الناس والقاضي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان
بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا
على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل
اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة والاول منقول من المشكك
او الشاك ... الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله تعالى اعلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا وقيل العصر ... من شعبان

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا
كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل
في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله رسلا منصوب على الوجه الثاني من الاضافة
بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي
لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته الى الاول تعذر
اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح
وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه ... تقديره كون جعل
تصييريا واما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولوا اسم
جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض جمع لخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات
لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو
ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها يلفون بهما اجسادهم
وبآخرين يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام

ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل
فخرج في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليه في صورته فغشي عليه ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح
منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء
استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم مبين
لحكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف
وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيره بالوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فمن قبيل بيان بعض
المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته
تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة اي ما يطلق ويرسل
بالفتح اثرا ... من ... الذين ... فيها المتنافسون واتى بها منكرة للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله تعالى
من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد
يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع
الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد
امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما
يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها
يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون
لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمته فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها وما كان من نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة
الايجاد ونعمة الابقاء نفي ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي
باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ
محذوف الخبر وزيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه
وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من
الاعراب ... خبر النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه
نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا
لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناها
نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله لا اله الا هو فانه استئناف
لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة وحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود
تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى
الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى التسلية صلى الله عليه وسلم بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا
على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجة فتأس بتلك الرسل في المصابرة على ما اصابهم
من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لزيادة التسلية والتوجه
الى المصابرة اي رسل اولو شأن خطير وذوو اعداد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما يليق به من
الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالتهويل مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من
المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم
وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله ترجع الامور من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير
خلف فلا تغرنكم الحياة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم
عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه الغرور اي المبالغ
في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك
وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في
الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول
لكم للاعتصام به فاتخذوه عدوا اي فاعملوا له في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى لذات
الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم
في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم خطواته
عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل
الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء
للانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه
واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحبابه الضلال
وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما
تمهيد لما يعقبه من نهيه صلى الله عليه وسلم عن التحسر على عدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل لان يعرض عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي
ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم كذلك فحذف ما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لقوله
ام عما كان عليه من الحرص على اسلامهم من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه بتقبل الهداية حتى تطمع في
اسلامه وتبخع نفسك في دعوته كما حذف لدلالة ما تم من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ على انه ممن يشاء الله
ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك
نفسك للحسرات وجمعها للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر
وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي

القبائح متصل بما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي
ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها
للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها
اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى
من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص
بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات يوم القيامة ونشورهم
وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى
من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام
كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا او الذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة وجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله
ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان
لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما وهو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فحفظه هو
يؤتي صاحبه ويجازي طالبه بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول هو
الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن
وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات
بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلها بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات
على انه صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكراتهم في دار الندوة
وتدارسهم الرأي في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكرهم عذاب شديد لا يقادر قدره
ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر
والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد
منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به صلى الله عليه وسلم هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة
لا مكر الله بهم وقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكرهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم
الثلاث التي اكتفوا في حقه باحداهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم

ابتداء منه في ضمن خلق آدم ثم خلقا اجماليا لما في حقيقته وارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من
معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا
الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب
مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب
تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب
عن ابن عباس رضي الله عنه انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه
محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد وسيغ بالتخفيف وملح كحذر ومن كل اي من كل
واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما تفاوتا فيما هو
المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى الكافر والمؤمن وان شاركه
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازة
لكماله اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خلو من النافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى
الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد تتأتى منه الرؤية المتقدمين
بالجريين مواخر اي شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد يجوز تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
اي وتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما
ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل واحد منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج
احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري
اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا
لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كذا روي عن الحسن رحمه الله تعالى وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما
في فلكيهما والاجل المسمى منتهى دورتهما ومدته في الشمس سنة وفي القمر شهر وقد مر تفسيره في سورة لقمان ذلكم اشارة
الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم
الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب
ثبوت الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة

ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا
على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما
لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه وتعالى فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به
من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم
وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر
الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال الله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة
او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اي اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منها وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها
من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه
ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول
نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون
ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين من عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم
واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء
من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من
هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما
وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا
او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن جزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات
ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا
الحرور ولا الثواب ولا العقاب واعادة لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد
والحرور فعول من حر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين
بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت
الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا
ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا
بالوعد ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من
نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار
هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي يستمروا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم

العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والروية قلبية اي الم تعلم ان الله الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات الخ والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الروية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالروية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم والتعبير عنه بصيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل

بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاستتباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بالمنسوخ منها باطل قطعا لان الباقي منسوخ على ما ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فمعزول من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من امتثالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي ملكناه بعد ما ملكناك منك او نورثه فالتعبير عنه بالماضي لتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وقيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم الملازمون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصدون فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخيرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ

يحلون من حليت المرأة فهي حالية من أساور هي جمع أسورة جمع سوار من ذهب من الأولى للتبعيض والثانية للبيان أي
يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب
أي من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الأسلوب مر تقريره في سورة الحج وقالوا
أي ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة و
عن ابن عباس رضي الله عنه حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة إبليس وقيل هم المعاش
وقيل حزن زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا
إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور أي للمذنبين شكور للمطيعين الذي أحلنا
دار المقامة أي دار الإقامة التي لا انتقال عنها أبدا من فضله من إنعامه وتفضله من غير أن يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب أي كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما
يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الأول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون
عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد إسعارها
كذلك أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر أو الكفران لا نجزيه أخف وأدنى منه وقرئ
يجزى على البناء للمفعول وإسناده إلى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون وأصله
افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بإضمار
القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار بأن
استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة
موصوفة أي ألم نمهلكم أو ألم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر أي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو
أربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنه ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم
قال صلى الله عليه وسلم أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية
لأنها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك لأنه في معنى قد شرحنا والمراد
بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الأقارب والاقتصار
على ذكر النذير لأنه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير
وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل إن الله عالم غيب السموات والأرض بالإضافة وقرئ بالتنوين ونصب
غيب على المفعولية أي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه أحوالهم إنه عليم بذات الصدور وقيل إنه تعليل لما قبله لأنه إذا
علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الأرض يقال للمستخلف خليفة
وخليف والأول يجمع على خلائف والثاني على خلفاء والمعنى أنه تعالى جعلكم خلفاء في أرضه وألقى إليكم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الأمم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا ليشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره أي وبال كفره لا يتعداه إلى غيره

وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله
تعالى إياه أي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ليس بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه
على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة قل تبكيتا لهم أرأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله أي آلهتكم والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله من غير أن يكون له أصل ما
لأنفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه أروني ماذا خلقوا من الأرض بدل اشتمال من أرأيتم
كأنه قيل أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أي أم لهم شركة مع الله
تعالى في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية أم آتيناهم كتابا ينطق بأنا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه
أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم
سلطانا الآية وقرئ على بينات وفيه إيماء إلى أن الشرك أمر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل إن يعد الظالمون
بعضهم بعضا إلا غرورا لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنهم بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف للأخلاف وإضلال
الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليهم إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أي يمسكهما كراهة زوالهما أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك
منع ولئن زالتا إن أمسكهما أي ما أمسكهما من أحد من بعده من بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم
حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
أهدى من إحدى الأمم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى
أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الأمة
التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الرسل
ما زادهم أي النذير أو مجيئه إلا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الأرض بدل من نفورا أو مفعول له ومكر السيئ أصله
وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم مكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس فظن سكونا
أو وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون أي ما ينتظرون إلا سنة الأولين
أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بأن يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد
لسنة الله تحويلا بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان
التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما أولم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الأمم الماضية العاتية والهمزة للإنكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أي أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وأطول أعمارا فما أغنى عنهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى والجملة في محل النصب على
الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء أي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الأرض اعتراض مقرر لما يفهم
مما قبله من استئصال الأمم السالفة وقوله تعالى إنه كان عليما قديرا أي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم
السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من السيئات كما فعل بأولئك

ما ترك على ظهرها أي على ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب على بني آدم وقيل ومن غيرهم أيضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن
ابن مسعود رضه ويعضده الأول قوله تع ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيمة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان
بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر عن النبي عم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس إما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فمحله
الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسينُ بالرفع والنصب أي هذه يس
أو اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء
الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما إعرابا وقيل هو مجرور بإضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة
أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل
وهابيل يتأتى فيها الإعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب أسماء السور من كتابه وقيل هو حكاية كما هي حيث [illegible] يشهد
بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضه أن معناه
يا إنسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله عم ولعل أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في أيمن الله والقرآن
بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا بإضمار باء القسم الحكيم أي المتضمن للحكمة أو الناطق
بها بطريق الاستعارة أو المتصف بها على الإسناد المجازي وقد جوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان إنك لمن المرسلين جواب القسم و
الجملة لرد إنكار الكفرة بقولهم في حقه عم لست مرسلا وتغيير الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير إليه بقوله تع في جوابهم قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته
عم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من حيثية الحكمة أيضا لما أن الإقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق
مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تع على صراط مستقيم خبر آخر لأن أو
حال من المستكن في الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته
عم أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف إثر بيان أنه عم من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز
الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأيا ما كان فهو مصدر
بمعنى المفعول عبر عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل وإظهارا لفخامته
الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث
على الإيمان به ترهيبا وترغيبا وإشعار بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تع وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أي نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه مسوق لبيان ما ذكر
من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الأول وبعامله
المضمر على الوجه الأخير أي لتنذر به كما في صدر الأعراف وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين أي إنك مرسل
لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أي لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة على أن ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية

احتياجهم إلى الإنذار أو الذي أنذره أو شيئا أنذره آباؤهم الأبعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا ثانيا
لتنذر أو إنذار آبائهم الأقدمون على أنها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أي لتنذر إنذارا كائنا مثل إنذارهم فهم غافلون
على الوجه الأول متعلق بنفي الإنذار مترتب عليه والضمير للفريقين أي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لأجله غافلون وعلى الوجوه
الباقية متعلق بقوله تع لتنذر أو بما يفيده إنك لمن المرسلين وارد لتعليل إنذاره عم أو إرساله بغفلتهم المحوجة إليها
على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أي عما أنذر آباؤهم الأقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى
لقد حق القول على أكثرهم جواب القسم أي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من
قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من التذكير والإنذار وغلوهم في
العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول
هو من القول قوله تع لإبليس عند قوله لأغوينهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعني بقوله تع لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فإنه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بإدخال جهنم على
من تبع إبليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم إنما هو لكونهم من جملة
أولئك المصرين على تبعية إبليس أبدا وإذ قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت
ظهر أن قوله تع فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تع إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالا الخ تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم فهي إلى الأذقان
أي فالأغلال منتهية إلى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له
فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته وجعلنا
من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون إما تتمة للتمثيل وتكميل له أي وجعلنا مع ما ذكر
من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على
إبصار شيء ما أصلا وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث
لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين
عن النظر في الأدلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان
من خلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف
لئن رأى رسول الله عم يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى
عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله
تع بصره وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم بيان لشأنهم بطريق التصريح إثر بيانه بطريق التمثيل أي مستو عندهم إنذارك
إياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تع لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء
أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل إنما تنذر أي
إنذارا مستتبعا للأثر من اتبع الذكر أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي
الرحمن بالغيب أي خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريرته
ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تع نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن
عذابي هو العذاب الأليم فبشره بمغفرة عظيمة وأجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الأمر

بها على ما جبلها من اتباع الذكر وخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشان عظيم منطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم
بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا
اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من حسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه
او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم والعدوان
وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من
المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول
ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشياء
مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل
تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى
في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو
في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية
مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب
القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية
وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل
وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي
فقويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان
المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان
تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا
من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب
وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فآنس به فقال له يوما بلغني
انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون
من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت
لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر
ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر
الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية

شمعون

من النار

من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال
الملك من هم قال شمعون وصاحباه فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل عم فهلكوا كذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد
واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن آمن احد سوى حبيب النجار ولو آمن الملك وقومه [illegible]
آمنوا لكان الظاهر ان يتابعوا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه
اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اي اهل انطاكية
الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي
المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا
اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي تبليغ رسالته تبليغا
ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء
نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبونه منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهوتهم
وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين
او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فنفروا عنه
وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم
لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم
اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ
بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى ا تطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا
للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار
وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله عم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي غيره عم احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان
رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول النصيحة وقوله اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد والتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا
والدين ومالي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار
لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد
ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة

سبق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء
على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان ايثار ما ليس من شانه
النفع ولا دفع الضر على الخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز والجملة اني آمنت بربكم
خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده اظهارا
لصدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضافة الرب الى ضميرهم لزيادة التقرير واظهار الاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم
الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك
اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام
اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله
الى الجنة قاله الحسن وقتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل
له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة
وكذا قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال
عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثلها بالتوبة عن
الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم
في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة
يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي بأي شيء غفر لي ربي يريد تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول عليه السلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا
ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم
بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك
وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ونحوها ان كانت اي ما
كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة
من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار خامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب
والميت كالرماد كما قال لبيد. وما المرء الا كالشهاب وضوئه. يحور رمادا بعد اذ هو ساطع. يا حسرة على
العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون
فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف
او تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا عليهم من الله تعالى بطريق الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من جار وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق

وما صح به

وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا من
غير معلوم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل الاشتمال وان
كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض
من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون
لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة
من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ
بالتشديد قوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها
والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض
الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر لآية و
وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة
هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس حب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون
التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
على رأي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي جعلنا فيها ما ذكر
ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بلغ او اجري الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة و
لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ
منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد
الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من حذفه من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح
لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون
سبحان الذي خلق الازواج كلها استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام
ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم
بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح
سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد
الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا
فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك
وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت

الأرض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها ومن أنفسهم أي خلق الأزواج من أنفسهم أي الذكور والإناث
ومما لا يعلمون أي والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من
مصالحهم الدينية والدنيوية وإنما أطلعهم على ذلك بطريق الإجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على
عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية أي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال
تعليقه بجلده تعالى سلخت الإهاب من الشاة وبالعكس ومنه الشاة المسلوخة فإذا هم مظلمون أي داخلون في الظلام
مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها فشبه
بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال والشمس حيرى
في الجو أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها
ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها
عند خراب العالم وقرئ إلى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون لها فإنها متحركة دائما ولا مستقر لها على أنها
لا النافية للجنس ذلك إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته أي
ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها العقول والأفهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أي قدرنا مسيره
أو قدرنا سيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم
البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون
كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق
قيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها أي يصح ويتسهل لها أن تدرك القمر في سرعة السير فإن ذلك يخل
بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في الآثار والمنافع أو في المكان بأن تنزل في منزله أو في سلطانه فتطمس نوره
وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ولا الليل سابق النهار أي يسبقه فيفوته ولكن
يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وإيراد السبق
مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم على أن التنوين عوض من المضاف إليه الذي هو الضمير العائد إلى الشمس
والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما في الذات أو إلى
الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أولادهم
الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط و
تخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم في السفن أشق واستمساكهم فيها أبدع في الفلك المشحون أي المملوء
وقيل فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها أن الأقدمين في أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص الذرية بالذكر دونهم لأنه
أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الإبل فإنها
سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد مع

كون

كون صنعهم بإقدار الله تعالى وإلهامه بل للإيذان باختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا و
وحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير
شعور منهم واختيار وإن نشأ نغرقهم مع ما من تمام الآية فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم
ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الإبل حينئذ كما مر في خلال
الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك كأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم
أي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون أي
ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى إلا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة
أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما
ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أي لنوع من الرحمة وتمتيع إلى حين
أي إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام وإذا قيل لهم اتقوا بيان لإعراضهم
عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق
الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره
من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة أو من نوازل السماء
ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون حال من واو اتقوا
أو غاية له أي راجين أن ترحموا أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب
إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا أما إذا أطلق الإعراض
بالآية الكريمة فبعبارة النص وأما إذا كان بغيرها فبدلالته لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق
الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن
الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم
لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل
إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال
عليها والإيمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية
للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعم نزول
الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح المؤدي إلى الإيمان به تعالى [illegible]
عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار
الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة في حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتي أو من فاعله
المتخصص بالوصف لاشتماله على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال
من أحوالهم إلا حال إعراضهم عنها أو ما تأتيهم آية متصفة بصفة في حال من أحوالها إلا حال إعراضهم عنها وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي
أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الإنفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن

كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال للامر وكذلك من التعجب ضلّة اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم
الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة
للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط
جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث
تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين اي متى يجيء ما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد
بقيامها وعلى الوجوب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اي
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم مفاجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم
شيء من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا انها لا تأتيهم واصل
يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء
على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان
لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما
بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا ونفخ في الصور
هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث
اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار
لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتا
من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هبّ من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا
بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما
وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما و
ابي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم ان الله تعالى يرفع العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا
من احوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب
يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد
اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن
سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمون
حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم
بعضا وقيل هو صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل

في الصور فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما
عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب
للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون
العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم تنبيها
زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة و
في هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء
ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد
ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ
التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله
او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص
في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان
انه من جملة اشتغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وبيوم
جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم مستقرون في شغل اي شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم
مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل للمترقب المتوقع منزلة الواقع
للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل
بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين
على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق
لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة
على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو
والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون
وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالنصب على الحال من المستكن
في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال
او هو بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده
قراءة ظلل والارائك جمع اريكة وهو السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون
عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية
والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة
اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو
عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق
كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره

وجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بالعطف ما يدعون على فاكهة لبيان انهم يكون ما عبارة عن نوع الفاكهة وتمامها
في المعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مواضع عظيم الشأن او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وزيادة
نعمته دلالة على انهم في الحيز غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا اشتوى
وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي قال
الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاشتمال بمعنى الحمل او الارتحال بمعنى الرحل
ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف
قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال
لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني ففيه قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد
الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبر والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعونه سالم لهم خالص
لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا
مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما يقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره
الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا
وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال الجنة لكن
لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية
عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك
لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان
كونهم في شغل عظيم وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون
الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل
من ان المعنى فليمتازوا فمنقول من الفراء لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من حال اهل الجنة حتى يترتب
الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي
نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد تأويل تلك الحال منزلة
الواقع بالفصل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما بيناه واسقط كونها منزلة عن درجة
الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضماره سعيا يشتغل به اخلالا للنظم الكريم عن جزالته الم اعهد اليكم يا بني آدم ان
لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر وبين ما يقول لهم بقوله تعالى اصلوها
اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي
التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم
واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد
بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة

بين الامر والامتياز

عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واعد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا وان فيهما
مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنهما الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان
وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم
فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي صراط اعلى مستقيم او للقصد بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
واللام في قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع
ببيان ان جنايتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية
بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم
وجبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون
والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي والله
لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل
ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا
تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون
استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على
السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك
انت العزيز الكريم اي ادخلوها من جهنم وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على
افواههم اي نمنعها من الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم
الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية
وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم
واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة
اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار
المعاصي عليها وقرئ تتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ
ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول
المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي يقتضي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان
المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام
كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يسبقوا الى

الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة و
المقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال او ادبار ولا يرجعون وذلك قوله تعالى
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة قال ابن عباس رضي الله عنه قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من
عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء
بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية
الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها
ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه
على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة
شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي ونكسه من الافعال
افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم
تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه
عم من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال
مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر
المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه
عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتاتى له لو طلبه اي جعلناه
بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله
عم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات
الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ان هو اي ما القرآن الا
ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي
بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عم ويؤيده القراءة بالتاء لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من
الانذار من كان حيا اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان
وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم
بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة
للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم
يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به
انعاما مفعول خلقنا وتاخيره عن الجار والمجرور المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن

كون المؤخر امرا خطيرا كما في التنزيل الكريم فان مدار الاول التعجب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور
الخطيرة ان النفس تشوقا اليه ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه للتنويه عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الآيات الثلث
اي فملكناها اياهم واتيان الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية
لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون
على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تاسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما
اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم اي
فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل
لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبتهم اي مركوبهم
ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود
والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا اجمال لما فصل في سورة
النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او ايتمتعون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اي متجاوزين
الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بتلك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام
واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور ويشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى
لا يستطيعون نصرهم استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على
نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لآلهتهم جند محضرون يتبعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم
والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما
قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب النهي على ما
ذكر ارجاء للخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث التسلوة واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهي
وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله عم ونهي له عم عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى
المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه
ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانها شركاء لله سبحانه في المعبودية
وغير ذلك مما يورث حزنه وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن منقولا من حزن اللازم وقوله تعالى انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم
للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخفية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية
لرسول الله عم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بالسر
اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته لا يختلف بحال من الاحوال الباطنة
والظاهرة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب
قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل

بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه

سنوا ايده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تع بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قبل
انه مسلية تابعة لرسول الله عم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف
على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اى الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا انا خلقناه
من نطفة الى اخره وهي عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا للانكار ما هو ادخل منه بالانكار والتعجب كان المنكر هناك
عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه
اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تع لاسباب
معايشهم ولم يعلموا خلقه تع لانفسهم مع اتضاح كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على ان المنكر الاول بعيد قبيح
والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون المعطوف جملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان
تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راي الجمهور والمراد بالانسان كما في قوله تع اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تع فاذا هو خصيم مبين اى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية
داخل في حيز الانكار والتعجب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجا خصومتنا في امر
يشهد بصحته وتحققه مبدا فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها
روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك
فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله تع يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه
ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تع فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر
على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من متممات
شواهد صحة البعث فقوله تع وضرب لنا مثلا معطوف ح على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار واما على التفسير
الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجا خصومتنا وضرب لنا مثلا اى اورد في شاننا قصة عجيبة
في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعد
وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على
قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تع ونسي خلقه اى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف
على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تع قال استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشا من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا له اشد
النكير مؤكدا بقوله وهي رميم اى بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكاره احياءه تع
للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعتبر مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار
ووضوح المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تع لها فانه امر عجيب في زعمه قد
استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما تبين
من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث
الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة
من اثبت للعظام حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحيائها

العظام

العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال
وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة
على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة
المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق
فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تع بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما
في كيفية الدلالة اى خلق لاجلكم ومنفعتكم نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما
عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى
وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منها غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فينقدح النار باذن الله تع وذلك قوله تع فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من الشجر
الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى
وقوله تع اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استيناف مسوق من جهته تع لتحقيق مضمون الجواب الذي
امر عم بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها
اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق
الاناسي اقدر كما قال تع لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تع بلى جواب من جهته
تع وتصريح بما افادة الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة
الالزام وقوله تع وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق
والعلم كيفا وكما انما امره اى شانه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اى ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث
من غير توقف على شيء اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تع فيما اراده بامر الامر المطاع للمطيع في سرعة حصول المامور
من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له
عز وجل عما وصفوه تع به وتعجيب مما قالوا في شانه تع والفاء للاشارة الى ان ما فصل من
شؤونه تع موجبة لتنزيهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تع بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية للتنزيه
والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه
ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي
في فضائل سورة يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله عم ان لكل شيء قلبا
وان قلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما
مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة

بشرها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء
حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يٰسين

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام من الله تعالى بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس
الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها
المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلوة وقيل اجنحتها في الهواء
فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه
يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما
سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا
فمفعول للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عم وغيرها من التسبيح
والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات
ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم الزجر ثم التلاوة او على
العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل
بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل
المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات
الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في
مواطن الحرب كانهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك
طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف بالفاء للدلالة على ترتب الصفات في الفضل
او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتقدم التلاوة
من الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات
كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال ان الهكم
لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه
من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها
على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما في قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات
ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها
وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب
وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما

انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به
لا المصدر فان الكواكب بانفسها وباوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة
مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي
عن ابن عباس رضه بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل
بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها
واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو
للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز
الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة الثابتة ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على
زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة
يرمى به الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب
كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ
مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب
ولا سبيل لجعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان
يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف
ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر
فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى
الملائكة وعن ابن عباس رضه هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة وهم اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون
بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا
علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ
دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا طاردا لهم او هو الطرد وقد يجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب
واصب اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا
لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء المشددة
واصلها اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب
مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم
او يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم بعدم السلامة طمعا في السلامة وقيل المراد راكب السفينة فاستفتهم فاستخبر
مشركي مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء
والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه
بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم
وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم
والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم البعث

ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرته وكثرة خلائقه الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم
يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا اي ودأبهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به
لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر بها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ائنا لمبعوثون اي انبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تنوء بواحد منها لكفى في المنع
وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد
في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ باطراح الهمزة
الاولى وبطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا
مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله
تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ اوآباؤنا قل
تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم
مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره
او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي
الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها فاذا هم ينظرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل
لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا
انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء
او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله تعالى للملائكة او من بعضهم لبعض
بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم من العصاة
عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم
اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل هو عام
مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة
فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به
من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسؤولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس
للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل
الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون

في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع
عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع فيه اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم
مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم
مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض يعني الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل
بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل
كيف يتساءلون فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء انكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه
وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف
الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الانسب
للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه
وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق
علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون
اي العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم
الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا
في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك
اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما ينبئ عنه
التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول
ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما
جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته انكم بما فعلتم
من الاشراك وتكذيب الرسل عليهم السلام والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم
وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون
الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير
ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا
وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا
مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه ليس بمحض الاعمال
فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم
للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عما عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم
اما خبره وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة
الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه بمعنى المبتدأ
وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت

كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت
لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل ان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون
في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات
ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل
الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استيناف او في
احد الجارين ويجوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او خمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قوله
قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بيطاف او صفة لكاس اي كائنة من شراب
معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او خارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به خمر وهو
للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا
لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل كطب قال ولذ
كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا
واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله
نزف ثمالاته ومنه كله افرده بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من عظم فساده كانه جنس براسه والمعنى لا
نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرى ينزفون بكسر الزاي من انزف
الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرى ينزفون بضم الزاي من نزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان
الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب
قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما
جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف
محاوراتهم اني كان لي قرين في الدنيا يقول اي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق
بالبعث ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك فقال تصدقت به
ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك
شيئا فيكون التوبيخ لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما لتاكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل
بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين مر بذلك بان صدقه
فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلكم من منزلهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم اي في
وسطها وقرى فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرى مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع
المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم

الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دأب
الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرى مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل
لقرينه تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرى لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان ضمير
الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك وقوله تعالى افما نحن
بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله لهم من الفضل العظيم والنعيم
المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرى بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما
في القبر بعد الاحياء للسؤال فانه تصديق لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة
اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن
بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل وهو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرى لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوا
من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية
السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله
اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل
فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة يكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر
ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرى نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج
مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر
كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة اي من طلعها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فمالئون
منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها
على الشجرة التي ملئوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم
ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم شرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع
امعاءهم وقرى بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقرى كذلك لالى الجحيم اي الى دركاتها

او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملؤا ثم يسقون من الحميم
ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد
الآباء اي الذين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة
فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك
قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين
اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء
بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا
له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا
فظيعا استثني منهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب
الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال
بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم
للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم
محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا
فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه
والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين
حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان
له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث
ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم وسلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية
كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي
فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها
ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به من
التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجليل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه
من زمرة المحسنين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى
ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته
وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء
ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة
قدر الايمان ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه

في اصول الدين لابراهيم وان اختلف فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه
وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح وكان
بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى
المشايعة بقلب سليم اي من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله تعالى ومعنى المجيء به ربه
اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف
لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك
فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به بمعنى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله تعالى آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة
او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة
لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة
في النجوم قيل كانت له حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي نوبتها الساعة فاذا هي
قد حضرت فقال اني سقيم وكان في ذلك صادقا فجعله عذرا في تخلفه من عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب
لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به
الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم
وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معبدهم وتركوه في بيت
الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية
واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون اي من الطعام الذي كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه
ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه
بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ
عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك ان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تستدعي
قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة
وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة
فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فقيل فأتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام
وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اي بعد ما اتوا به وجرى بينهم وبينه من المحاورات ما نطق به
قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أتعبدون ما تنحتون
ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ
اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه

النبوة تعظيم لشأنه وإيماء إلى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق وباركنا عليه على إبراهيم في أولاده وعلى
إسحق بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا و
قرئ بركنا ومن ذريتهما محسن في عمله أو على نفسه بالإيمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه
وفيه تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهداية والضلال وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا
على موسى وهرون أي أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو إسرائيل من الكرب العظيم
هو تملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان العسف والعذاب كما في قوله تعالى وإذ أنجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق ونصرناهم
لأنه لم يكن عليهم كربا مستقلة ونصرناهم أي إياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة
لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه
النتيجة وإن كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخلص
عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان
حقه بإظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب
المستبين أي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل
إلى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الأحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون أي أبقينا
فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل إنا كذلك نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم
عنه إنهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وإن إلياس لمن المرسلين هو إلياس بن ياسين من سبط هرون
أخي موسى بعث بعده وقيل إدريس لأنه قرئ مكانه إدريس وإدراس وقرئ إبليس وقرئ الياس بحذف الهمزة إذ قال
لقومه ألا تتقون أي عذاب الله تعالى أتدعون بعلا أتعبدونه أو تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من الشام
وهو البلد الموسوم اليوم ببعلبك وقيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه
أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أي أتعبدون بعض البعول وتذرون أحسن الخالقين أي تتركون عبادته
إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الأولين بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين
وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد إنكار تركهم عبادته تعالى والإشعار ببطلان آراء آبائهم أيضا
فكذبوه فإنهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون أي في العذاب والإطلاق للاكتفاء بالقرينة على أن الإحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا إلا عباد الله المخلصين استثناء من محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين هو لغة
في الياس كسيناء وسينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه باللام
وقرئ بإضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس إنا كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه أي اذكر وقت تنجيتنا إياه وأهله أجمعين
إلا عجوزا في الغابرين أي الباقين في العذاب أو الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فإن ذلك ينبئ أيضا
على جلالة أمره وكونه من جملة المرسلين وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم إلى الشام وتشاهدون آثار
هلاكهم فإن سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء أفلا تعقلون أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم

مثل ما أصابهم وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه إلى الفلك المشحون أي المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة وأصله المزلق من مقام الظفر روي أنه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت
فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى نفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم
أي داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا أنه كان من
المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين وقيل من المصلين فإنه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخاء للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث
على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بأن حملنا الحوت على لفظه با
بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم
يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف
في مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقم فيه روي أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى إلى الحوت أني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما
ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثرون
على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع قال أجل
هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة
وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى
والمراد به إرساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة جمة وكأن توسيط تذكير وقت
هربه إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت
حلوله وتعللهم وتعللهم لإيمانهم بظهور أماراته كما تفصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي يحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال
كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر أو يزيدون
أي في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فآمنوا أي بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب إيمانا خالصا فمتعناهم إلى حين أي بالحياة الدنيا إلى حين قدره الله تعالى لهم ولعل عدم
ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل
لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله ﷺ بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم
في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عنده
من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه
تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى
وأصفيائه تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان ثم أمره ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء على وجه أوضح منكر خارج عن العقول
بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة
وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق

عليهم السلام عباده ثم قال ذلك مما ينكر التبكيت وتقطع بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما تضمنه كونهم المذكور من الاستهانة
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطال اصل كونهم المنطوي على جعلهم من الكاذبين وهو نسبة الولد اليه سبحانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك
التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك فاستفتهم الربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما
فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء
السابق الى التبكيت بهذا كما يشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل
الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله
تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها
بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل
خلقنا اي بل خلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون ح او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد
ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون
في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدا محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان
الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم
فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله من الامر ولد الله ضعيف ونظم القول
اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقل افلا تذكرون
بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه
فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتطليبهم ما لا يدخل
تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته ضرورة ان الحكم بذلك لا بد
له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها
وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم
وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم والتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكي
جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان
ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم
فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة
ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين
يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا
وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان

واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات
الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل
يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين
له تعالى او شركاء له في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله تعالى سبحان الله عما يصفون حكاية
لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله
المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على
ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا
سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما
انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب
لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عن عبادتهم
كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان
على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم
الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم
فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم
اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين
لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين
عنه واظهار لقصور شأنهم وقمائتهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله تعالى مقصور
عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي
انه تعالى قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع
جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون المقدسون
له تعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط
هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة وجوه اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا
ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول
لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار
وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق
وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم
في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف

ذلك يشوب من ابتلاء المحنة والحكم الغالب وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين
سبق معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وانقطاع نكال حل بهم
من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور
وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل
بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله عم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول
من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار
من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا
روي ان رسول الله عم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال
عم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تسلية لرسول الله عم اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان
بان ما يبصره عم حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد
بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه
عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها
ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله عم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية
والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عم اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك
ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه
استعجالهم بالعذاب وقوله تع وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تع عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان
بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تع والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه تع عز وجل
بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تع بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي
من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف
النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تع واشعار بان ما وعده عم من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين
على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم
ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تع وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تع مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تع للتسليم
عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من
مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله عم من قرأ والصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا

سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو امر من المصاداة
وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره
وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحروف مسرودا على نمط التحدي او رمزا الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كان
عن اعراب السلف واسما للسورة خبر المبتدأ المحذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى
والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد بعض
السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها
والذكر الشرف والنباهة كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من
الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عم واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع
والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم
حقيقا بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه
بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقرآن الخ على طريقة قولهم
هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انبأ عنه كان قوله تعالى
بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة
ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تع ولرسوله عم ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه
الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي
الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية اي قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا اي عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا
من ذلك وقوله تع ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال انه ليس
الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت
عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص
حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج
او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف
من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطع من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات
بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة
على حين لاتصالها به في الامام ولا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم
المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة
الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا

بحث لات

منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الآلهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم
وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا
على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا
واما جعل الكل لجهلهم علم وقدرة الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا
في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام واكرام روي انه لما اسلم
عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله عليه السلام وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك
يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم
بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اي وانطلق الاشراف
من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله عليه السلام بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره
على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض
على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة
لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة
اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون
ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله
عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم
عن استنزاله عن رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا
عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد
الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل
ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة
والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا
بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا
عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في
الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اخزاهم الله كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا
الا اختلاق اي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم
كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام
بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيقته

بل

وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا
عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع
والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من
شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له
ان يهب كل ما يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه ما لا يخفى وقوله
تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا
في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب
جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل
هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث
بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الخ استئناف
مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب
وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده واستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة
واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك
لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال
يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى اولئك
الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجهين وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم
الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا
لما يعقبه اي ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا
لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب منهم الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم
العام في خبر المبتدأ اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه
بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايضاح بان كلا منهم كذب على حياله
تكذيب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستئنافية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب
وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كان يوجبه جنايتهم من اصناف
العقوبات المفصلة في مواضعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اي ان كل منهم الخ والجملة استئناف
مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره

والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتأمل واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله
وعاد الى او قوله الى وقوم لوط فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة
اثر بيان اخذ اسلافهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع
وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر
او حضورهم في علم الله تعالى فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يرد
على اعماله نتائجها بعد وقد بين عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرة ولم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم امر منتظر واما الذين في عصر
الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم الموجبة لاشد العقوبات في مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما
يلاقوا بعد شيئا من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب
الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها
بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم
بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكمة الباهرة كما نطق به قوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها
الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق موقوفا اليها بل يحل بهم من حين موتهم
ما لها من فواق اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق
الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة
والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة
اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله عليه السلام وعد الله تعالى للمؤمنين بالجنة فقالوا على سبيل الهزؤ عجل لنا نصيبنا منها وتصدير
دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون
من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا داود اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح
ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه السلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخته
الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب
ونوحه الدائم فما ظنك بهؤلاء الكفرة الاراذل من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته عليه السلام
وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الايد اي ذا القوة
يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد
ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استئناف
مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما مر في سورة الانبياء من ان
تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء
به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء يسبحن اي يقدسن الله عز
وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السير فهو حال من الجبال وضع موضع
مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اي ووقت

الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رضي الله عنها انه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية والطير
عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح
جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له اواب
استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح
ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب
الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال والطير
لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه اي قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان
يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل
المدعى عليه فتأنى فاعيد الوحي في اليقظة فاعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت
ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب
وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل علم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب
اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه
مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه
يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما
جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق
الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر
ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فوجان اذ تسوروا المحراب اي تصعدوا سور الغرفة
ونزلوا اليه والتسور تصعد الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي تحاكم
الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف المضاف
اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول عليه السلام لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا
على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روي انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما
جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب مع من معهما
من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة
والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنه ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية فزعه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف
خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحبه خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد
التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط
ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما
سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة

والتعريض للملك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه لكن تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال
اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في
مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا
اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب
كأنه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به داود المبالغة في انكار
فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او
على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء
اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة
بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار
للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر
المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله
عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية
الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل
من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق مدلول للفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة
فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتلاه بامرأة اوريا
وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور
بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حشمته عليه السلام بترك المجاهرة
والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه على
ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا
لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كأنه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل
القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن
امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع
رتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة
ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا
تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه و

اغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت
فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة
البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله
فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع
ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله
تعالى فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة
لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه
دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له
ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة
بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب
به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين
له يا داود انا استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك
من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط فاحكم بين الناس
بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور
الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء
الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى
ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول
فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه
اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من افراده او ظرف لقوله لهم
اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله
فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به اولا وانما غير العنوان لان تنبيه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام
البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين
والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار
ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية

ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بيّنّا
فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك
اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم
قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب
ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم ولا تنافي بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار
لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر
البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية
بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه
عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين
لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى
ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق
الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين
مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار
التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب
خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفة وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدا
او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك
الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات
المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ لتدبروا على
الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة
الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه
مفعولا صريحا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع لتعليل المدح وهو من حاله لما ان الضمير
المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر
الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا تكاد تتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد
جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا
خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عم غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه
من العمالقة

من العمالقة فورثها منه وقيل اخرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه
حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها
تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهو الريح تجري بامره فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عم عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه
وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه
عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي بعن وحب
الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عم ويحتمل انه سماها
خيرا لتعلق الخير بها قال عم الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقرئ اني بفتح الياء حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله
احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى
توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل
الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عم ومرمى غرضه من
تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان
فقيل قال ردوها علي فتامل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي
بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا
بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو
وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
اظهر ما قيل في فتنته عم ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك
فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان
لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها
كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليها
تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها
خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة
قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى
السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر
آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فشق بطنها
فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص

وتفرقه في البر وعلى هذا فالجسد عبارة عن جني سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال
اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما
صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشأ
في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد
من بعدي لعظمته لا ان يعطي مثله فيكون منافسة قيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطي مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم
الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين وجريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة
وقرئ لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط لان المغفرة ايضا من احكام
وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري
بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب
اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ في الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كأنه فصل الشياطين
الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن
الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في
الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن
ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في
خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيره
عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي
غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب
لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق
والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن
سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه
ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان
فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاء بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى
بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه
عليه السلام مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على
اذكر عبدنا داود وعدم تصديره بقصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليه السلام وايوب هو
ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا ايوب عطف بيان له اني باني مسني الشيطان
بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل
وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو
حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته

كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره
فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب
ما كان يوسوس به اليه في مرضه من عظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك
بكشف البلاء او بالتوفيق في رده ودفعه بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى
هٰهنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما سكت هناك عن ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هٰهنا وقوله تعالى اركض برجلك اما حكاية لما قيل له
او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد
وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان
حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه
المقول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم
وهو المروي عن الحسن رضي الله عنه او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل
رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا
الى الله تعالى فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا
بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد
الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة
فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله
سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب بكل واحد من
المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال و
ليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في
الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ
الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري
ولم يلهني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه
نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف على
اذكر عبدنا ايوب وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان
عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين
او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد
بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية
وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان
للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح

افطارهم في ظل ما يأتون وما يذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه ولا يشوبها ذكرى الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم
في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم والاطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية وان الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى
ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا
كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيف كاموات
في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو
ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه للتعريف دخل على يسع كما في قول من قال
رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل علم اعجمي دخل
عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه وقيل فر اليه مائة نبي
من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من
الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر شرف لهم وذكر جميل
يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن والباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء
وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب
آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما هم المذكورون
عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القصوى من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
عند من يجوز مخالفتهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح و
قوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة
باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام
القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات
عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف
لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل فيها وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهم لا ينظرن
الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في
وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله و
الياء بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اي اعطيناكموه ماله من نفاد
انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذاك وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضدادهم
السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفترش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا
فليذوقوه لقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض
وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال
دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب

ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من
شكله ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخرى ومن شكلها
ازواج انواع عذاب آخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق ازواج
اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج
مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر و
الضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة
بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتيتم رحبا او لا رحبت
الدار رحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم
الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتشفيا من مصاحبتهم
وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماع ما قيل في حقهم ووجه خطابهم
للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان
الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم اه قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء و
التحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله
تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي او اقدمتموه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد
الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغوائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار
اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من
التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك
بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي و
وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة الاستفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها
من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل بقوله
باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم والتحقير وان ابصارنا كانت
تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل
ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب
والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله
تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها ويجوز
ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لابد
من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا
مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك واما ما قيل
من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام تعالى بهذا الاجل ولا التقابل نحو هذا الكلام

الرجل قل اوأرسول الله ع ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهنم انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد الذي لا اصل للشرك والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات المختلفة بنوعهم ان يكون له شريك منها القوي الذي اغلب به امور هذه العقار المبالغة للمبالغة بفيض ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تتمة التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنيته ما يشعر بالوعيدين وصفي القهر والقوة وتقديمها على وصف المغفرة في مقام الانذار حقه قل تكرار الامر للايذان بان للقول اجلالا شان خطير لا بد من الاعتناء به اوأنبأكم هو اي انبئكم بمن انا منذر من جهته ع وانه تعالى لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والا لظهر انه القرآن وما ذكر فيه من دخولا اولي كما يشهد به آي السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رضه ومجاهد وقتادة رضه بنا على علمهم وانا من جهته ع وقوله تعالى انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء حالهم بيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حسبما ينطوي عليه عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اي لنبأ، وقوله ع وما كان لي علم بالملا الاعلى اه استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته ع بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة علم له ع ولا ممارسة بسبب من الاسباب المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تع وان سائر انبائه الينا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله ع اذ يختصمون متعلق بمحذوف مقتضيه المقام اذ لا اعلم لي بحالهم لا بد وانهم والتقدير ما كان لي علم ما يوجد من الوجوه بحال الملا الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحقيق للمواعد فان علمه ع غير مقصور على ما وقع بينهم من الاحوال بل متعلق بكل عالم لها ولاضدادها ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكونه من الجاحدين وما يتعلق به الوحي فلا وجه لتخصيص علمه ع بما وقع بينهم في نفسه ايضا لا اختلاف وقوله ع ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين احوال اختصامهم وتفصيله تقوية لامر الثبوت علمه ع وتمهيد لما سيجيء من بيان انتفاء ما سبق لما كان مبنيا على شبهة ما من شبهي من ما دام الشبهة دون ان يتبين ان ليس الا طريق الوحي حتما فحينئذ اوأسلم الثبوت بعنوان الاضافة بقصد الاختصار وفعل من نصب العبادة والمقصود اجازة ما هو داير على الوحي وصحح له تحقيقا لقوله ع انما انا منذر فيما يتعلق بعلمه ع بقضية الملا الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدرة وما يتعلق به وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملا الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى الا لامر العجيبة الشأن من جملتها حالهم الا انما انا نذير مبين من جهته ع فان كونه ع كذلك من دواعي الوحي اليه هو جعلها نفس الوحي واما ان القائم مقام الفاعل هو ضمير الوحي او هو انا نذير مبين فلا تعلق له بحار وان المعنى ما يوحى الي الا الانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ فلا اوجه في ذلك كما قيل فمع ما فيهين الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده التنظيم الكريم وسياقه كيف لا والاخر اض ع يكون اجنبيا تماما كوسط بينهما من احوال الاختصام وتفصيله فتأمل والله الرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تع اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام القوي هو ما هو بين عينيك من الاشكال وحيث كان تعليمه تع اياه بهم بواسطة الكف صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى ليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل كيفي اشتمال ما في خبرها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره ع لتشريفه ع والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له ع والخطاب وارد بما يعتاد حال الآمر لكونه اداعي كونه وصيا منه ع لا من عنده تع كما في قوله تع فتل باعتبار ادي الامر من امر غوايتهم اه دون حال الامور والاصل في الاضافة ان تجعل في حيز الامر اني خالق ايي فيما سيأتي وفيه ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تع فاعل له البتة من غير صارف يلويه والاعتناء

ببشرا قبل اي جسما كثيفا بلاقي وبانيه وقيل خلقا بادي البشرة بلا سوف والاشعر والعقل ما اي عند وضع الحي ليس عند الاسم الذي لم يخلق مسماه فصلا عن تسميته بل عبارة كما شئت عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من حاله لما سيأتي من الغبرة والاسوداد والمسنونية الكنائية عما ذكر من موادها فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية وخلقته البشرية او سويت اجزاءه بعضها على بعض ونفخت فيه من روحي التي اضيفها الي تشريفا حسبما سلف في الاسماء كما مر ولا مفتوح وانما هو مثقل لا خاصة ما به صيرورة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده واهلته عليه ما يجيء به من الروح التي هي من اموري فقعوا له امر من وقع ووقوع وقيل على ان المأمور به ليس هو الخرور والانحناء كما قيل اي سقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي خلقه فسواه ونفخ فيه الروح فسجدوا له الملائكة كلهم اجمعون بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي على طريق المتابعة بحيث لم يتخلف بناء على ان كلا منهم عين احد والاختصاص لانا وجدنا في هذا المعنى بحالة بل بعيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا اهل يترتب على الامر التشريعي كما تقتضيه صدر الآية الكريمة الى آخر ما في سورة الحجر خان ظاهر هما يسندي عنه بل هو سر ابينا يتغير بتغير عنه الفاعل المخصوص من خلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التكويني كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة صدرا وتخصيصه بسجود الملائكة في سورة البقرة وسورة الاعراف لا الابليس استثناء متصل لانه كان جنيا منهم وامتزاجه بهم اموا من الملائكة جنسا بالنزول وبهم منهم او منقطع وقوله ع استكبر على الاول تبيين لمبهم ما وقع منه وعلى الثاني تتميم لمعنى الاستثناء وتمهيد لما سيأتي من قوله ع كان من الكافرين وعلى التقديرين لم يترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني بجرد الصاله باصله اي كان ابليس استكبر وكان من الكافرين اي صار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تع حال ما امتنع ان يتعلق به امر تكويني اي خلقه بعد ان لم يكن من غير تغير واب وام والتفوه لاجراء حال الاشياء بخلقه ع المعلوم اجلاله واعظامه صدا بالانكار الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بجرة الانكار وطرح حرة الوصل اي كبرت من غير استحقاق اكنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل متكبرا من المستكبرين وقرئ على الخبر بحذف حرة الاستفهام قضيته لانه اعلم بها وقوله تع قال انا خير منه اذ عاند منه استئناف بياني منشأه ما في المضمر المتجوز به على ارادة ان يسجد العامل المفصول كما يوجب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته الخ صلصال من حمأ مسنون وقوله ع خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ع ولقد اخطأ اللعين حيث خص بما من جهة المادة والعنصر وزاعنه ما من جهة العامل كما ابنا عنه قوله تع فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين من ربي وما من جهته الغاية وهو ملاك الامر وقد علم من ظاهر حاله ان له خواص ليست لغيره قال فانظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة وقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه وأخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان القى عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل وايي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وأذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

موصوف بما سيأتي من الصفات الجليلة وعليه فالاستثناء منقطع والمراد بمن معه ع الملائكة عليهم السلام

يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
ويلعن بعضهم بعضا وقال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني
رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره
وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما
سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص
به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم
من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم
الذي قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار
بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء
فيه لربط ما بعدها من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا او تركنا
في سورة الاعراف كما ترك الجزاء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك
ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام آخر غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه
لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال البالغ
الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد
حققناه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون
الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله فبما اغويتني وقوله رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته
وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر
لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم
الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اي
الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه
مفعول لما بعده وقدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لاملأن جهنم على ان
الحق اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لاملأن جواب القسم محذوف
اي والله لاملأن جهنم الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى
الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئ منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه
لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئ مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق
بالجر على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم
ونصب الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك منهم في الغواية والضلال منهم اي من ذرية
آدم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فقط فليس في ذلك شائبة الجبر قل ما اسألكم

عليه اي على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله
حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه
اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند
ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغيرا وكبيرا والله تعالى اعلم

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم الاشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر
والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل
او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر
لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان
تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض
لوصفي القوة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء
جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب
عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيم
ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال
واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق
والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر
على ما قبلها فان انزال الكتاب اليه بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين عن شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل
اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف
تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له
تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة له
لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق
لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي عبارة من التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول
عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملائكة وعيسى والاصنام
وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوصهم
والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله
تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا ان الله يحكم بينهم اي وبين
خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين
احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين

جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل صحة ما انتحله وحكمه في ذلك
ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير لله تعالى ونحن هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة
عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر يعول على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون
اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة
شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعيد لا اغضاء عما فيه من التعسفات بل لما فيه من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة
يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين
الباقي الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ
ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة
عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر
من حكمه لو اراد الله ان يتخذ ولدا استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلق ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا
وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ
وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع
الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه اي
لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يلزم
من فرض وقوعه انتفاؤه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق
الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تنزيه له تعالى عما
ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان
السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او نزهوه تنزيها
حقيقا بشأنه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية
الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية
لما ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء
قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات
والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات
ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه
تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر
كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري

بل فرض ارادة وقوعه

لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقوله تعالى الا هو العزيز الغالب القادر
على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما
في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك العطف على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم
السفلي والبداءة بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان
الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي
من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت
ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن
معتادة خارجة عن قياس الاولى كما ينبئ به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت
على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل
اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم
تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه
توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب
من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة
الى المنزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة
وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا
مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغة مخلقة من بعد مضغة غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة
في ظلمات ثلث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة
اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشأن
الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له
الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو
والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى
مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها
ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي
فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر عن انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم و
دفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة
الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة
وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي
يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة

وإذا مس الإنسان ضر من عجز ومرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة
على كشف ضره وتعريف الانسان للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من
جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار
اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى في كشفه من قبل اي من قبل
التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرف من هو كما مر في قوله تعالى عما صنعت
وجعل لله اندادا اي شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد
ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما
اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله
تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام
وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة
فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة
قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به أأنت احسن حالا ومالا ام من هو قائم
بمواجب الطاعة ودائم على اداء وظائف العبادة في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس
الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى
العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استئناف وقع جوابا
عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه
فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير
الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط كما هو دابك وقيل اما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت المتكلف
بجواب ملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل أمن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك
كما هو المتجه على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق
الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون اي ما ذكر او استشاره فيعملون بمقتضى جهلهم و
ضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر
من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون
والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المامور
وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم
في قول من قال عموا جحود الحق يعني دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة
اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل عن ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا
ربكم امر رسول الله عليه السلام بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم المتذكرون
به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشان المامور به فان نقل الكلام

امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان
في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي
عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله عليه السلام حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة
على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فلا دلالة على الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر
على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط
اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المامور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة
في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما
اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا
من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنه لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله عليه السلام ببيان ما امر به
من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا
لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اي وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة
كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل
زماني او من قومي او ان اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي
بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصفه بالعظمة لما فيه من الدواهي والاهوال
قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مامورا
بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على
ابلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم
ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا
به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه
الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيار الكفر لهما اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون النار حيث
عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وقيل ان خسروا
ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسرون وذلك غير متصور في التفريع الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين

لهم اماكن في الجنة وغيرهم اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر
بل بيان انهم هم اجمل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو
من الاستيناف والجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل
وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم
من فوقهم ظلل من النار الخ بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف
يحتمل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل
كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين
بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه
بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف
والرحمة ... والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني
للمبالغة في المصدر ... ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان ان يعبدوها
بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله تعالى واقبلوا
اليه ... لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون
وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب
والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين
... يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار
اتصافهم ... وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك
هم اولوا الالباب اي اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم
وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ
من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة
الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين واصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها
... ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار
بها ... أانت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت
الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لطول الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار
والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده في دعائهم الى الايمان
سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون جزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة
السابقة ... بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه
الى الايمان بصورة الانقاذ من النار ... كانه قيل أأنت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد التنكير فقيل افانت
تنقذ من في النار ... انه هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل

او قوله لكن يقبلك منهم لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين

في جهنم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف وهم الذين خوطبوا بقوله يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم
بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة
على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو
والسفل وعد الله في القرآن مصدر مؤكد لقوله لهم غرف فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته
عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استيناف وارد لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب
الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزبرجها كما في نظائر قوله
تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من
من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض
فهو من السماء ينزل من السماء الى الصخرة ثم يقسمه الله بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا
ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى
الاول بنزع الجار اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان
والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه
ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا
كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا
عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك
ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا
يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء
الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن
عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فمعزول عن تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار
الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون
متعلق التذكير والتنبيه شئونه تعالى او شئون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
استيناف جار مجرى التعليل باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل
للقلب الذي هو منبع للروح الذي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته
بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة
والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه
كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي
خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو
بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية
والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى

عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا ينزل بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله تع فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك في ضلال مبين الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضه وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضه وابي جهل وذريته الله نزل احسن الحديث هو القرآن الكريم روي ان رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا له لو حدثتنا حديثا فنزل ذلك وعن ابن مسعود رضه وابن عباس رضه قالوا حدثنا فنزلت وفي البحر ان عينه منبر وقته عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تع وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال من النكرة للفصاحة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تع متشابها او لكونه في قوة مكتوبا متشابها معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تع فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائله والمعنى متشابها مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته ووعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تع تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تع ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تع وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تع ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تع ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذله فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلالة وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تع يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كما الذي مر في نظيره المتقدم اي اكل الناس سواء فمن شانه انه يتقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيمة لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل

هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع الظاهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلية الامر في قوله تع ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من جهة لا تخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي اذكر لهم مثلا من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تع مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهام شتى متشاكسة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وضرب للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول ومثلا منتصب على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تع اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تع الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تع فانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تع بضرب المثل الاعلى وللمشرك من مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تع بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تع انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلعم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة

لما يحتج مع الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الأنام والأول
هو الأظهر الأنسب بقوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله فإنه إلى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام
الجاري في شأن الكفر والإيمان لا غير أي أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف إليه الشريك والولد
وكذب بالصدق أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء النبي عم إذ جاءه أي في أول مجيئه من غير
تدبر فيه ولا تأمل أليس في جهنم مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وتعالى وسارعوا إلى التكذيب
بالصدق من أول الأمر وجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون
في حكمه دخولا أوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله عم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عم وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق أولئك الموصوفون
بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق به مخففا
أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أي بسببه لأن ما جاء به من القرآن
معجزة دالة على صدقه عم وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب
بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الأعمال أي لهم كل ما يشاؤونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة
فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة ذلك
الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤونه جزاء المحسنين أي الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة قوله تعالى ليكفر
الله عنهم أسوأ الذي عملوا إلخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه
غاية لثبوت ما يشاؤون لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما ثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فإنه حيث لم يكن إخبارا
بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله
من قوله تعالى لهم غرف فإنه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال
المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي
كانوا يعملون إعطاء لمنافعهم وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام وإضافة
الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه بل من قبيل إضافة الشيء إلى بعضه للقصد
إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين خاصة
كما في قولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر
إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وإن قلت واستصغار حسناتهم وإن جلت والثاني بالنظر إلى لطف
أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وإن أمكن في الأول بناء
على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السيء لكن
لا يمكن ذلك في الأحسن لأن الأحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة
الموصول الثاني دون الأول للإيذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة أليس الله بكاف عبده
إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر على أن يتفوه بعدمها أحد
أو يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد إما رسول الله عم أو الجنس المنتظم له عم انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده

وهم الأنبياء عم وكذا قراءة من قرأ بكاف عباده على الإضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة إما من الكفاية لإفادة
المبالغة فيها وإما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذا تسلية لرسول الله عم عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك
معرتها لعيبك إياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود إن نقول
إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه أي الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى
والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا فما له من
هاد يهديه إلى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه إذ لا راد لفضله ولا معارض لما يتعلق
به قوله تعالى أليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من أعدائه لأوليائه وإظهار الاسم
الجليل في موقع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح
الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
أي بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن عني
ذلك الضر أو أرادني برحمة أي بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه عم للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الأوثان
ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصيحة قل حسبي الله أي في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر روي أنه عم لما سألهم
سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فإن المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار
هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم إني عامل أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد
والإشعار بأن حاله لا تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فإن خزي أعدائه دليل غلبته عم وقد أخزاهم الله تعالى وأذاقهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
أي دائم هو عذاب النار إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق
حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله فمن اهتدى بأن عمل بما فيه فلنفسه أي إنما نفع به نفسه ومن ضل بأن لم يعمل بموجبه فإنما يضل
عليها لما أن وبال ضلاله مقصور عليها وما أنت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك إلا البلاغ وقد بلغت أي
بلاغ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها أي يقبضها من الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها إما ظاهرا وباطنا كما عند الموت أو ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
إلى بدنها ويرسل الأخرى أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الإرسال الواقع بعد الإمساك لا للفرد
منه فإن ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها
عند النوم قريب مما ذكر إن في ذلك أي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والإمساك في أحدهما والإرسال في الآخر لآيات
عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها تارة بالكلية
كما عند الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها فقط عند النوم
وإرسالها حينا بعد حين إلى انقضاء آجالها أم اتخذوا أي بل اتخذ قريش من دون الله من دون إذنه تعالى شفعاء تشفع لهم
عنده تعالى قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه أي أتتخذونهم

اتخذوا من دونه شفعاء ، و لو كانوا لا يملكون الشفاعة عند الله تع او حتى لانكار الوقوع وتنبيه على ان المراد بان ان ما تحملوا ليس من الحد
الشفعاء بالآية هي كون الاوثان شفعاء ، وذلك اظهر للمحالات فالمقدر غير ما قدرنا ولا دع على اي تقدير كان فالواو للعطف
على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي يشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور
عليه وقد تم تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون
المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود هنا وقوله تع له ملك السموات والارض مقرر له وتاكيد اي له ملكها
وما فيها من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد
سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفصل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تع واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر
الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تع اذا هم يستبشرون لنوط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تع ولقد بولغ في بيان
حالتيهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز
ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجاة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اي التجئ اليه تع بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد
وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تع ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستانف مسوق لبيان آثار الحكم الذي
استدعاه النبي عم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من
سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وقوله تع
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في
حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات
ما كسبوا اي سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائف اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي احاط بهم جزاؤه
فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما
من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تع وحده ويستبشرون بذكر الآلهة
فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان
التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من
الاستحقاق او على علم من الله تع بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعم
بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الانباء
المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا او يجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئة لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين

ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر
والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر
وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له
ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ان في ذلك
اي الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولها قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو
عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء
ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبعده حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تع ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تع انه هو
الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة
على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع
وما روي من اسباب النزول لا يدل على ورود الآية في حق اولئك لاقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق
على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر
بالتوبة والاخلاص في قوله تع وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى
ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بها وتنافي الوعيد بالعذاب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت فانه
ربما يستعمله عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء
السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما
فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه في حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله تع والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله تع واهله
ومحل الجملة النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من
الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة
والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحسرا او تحيرا او تعللا بالاباطيل تحته وقوله تع بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تع عليه لما تضمنه قوله تع لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله
عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تع في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد

وجوههم مسودة أي بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال وقد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية
بصرية أو مفعول ثان لها على أن الرؤية قلبية أليس في جهنم مثوى أي مقام للمتكبرين عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي أي من جهنم وقرئ ينجي من الإنجاء بمفازتهم بفلاحهم
مصدر ميمي من فاز بالمطلوب أي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب
بنيل الثواب أي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا
هم يحزنون إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمس
العذاب وحزن وإما من فازه أي نجاته والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم
أي ينجيهم ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أي بنفي السوء والحزن عنهم أو للسببية إما على حذف المضاف أي ينجيهم
بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما ينبئ به إيراده في حيز الصلة وإما على إطلاق المفازة على سببها الذي هو
التقوى ليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وإيمان وكفر
لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيف يشاء
له مقاليد السموات والأرض لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا ألزمته وقيل جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل
النبي عليه السلام عن المقاليد فقال تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا
أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه والذين كفروا بآيات الله
أولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيف يشاء بالإحياء
والإماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس
والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقد
قيل متصل بقوله تعالى وينجي الله الخ وما بينهما اعتراض قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أبعد مشاهدة
هذه الآيات غير الله أعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم
بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني
وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني بإظهار
النونين على الأصل وبحذف الثانية ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك أي من الرسل عليهم السلام لئن
أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط الكفرة والإيذان
بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخيرتان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون
من خصائصهم لأن الإشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما

أمروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليك وفيه إشارة إلى موجب
الاختصاص وتقييده وما قدروا الله حق قدره ما قدروه حق قدره والعظمة في أنفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه
بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية
عظمته وكمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم
أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة
من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
على الحال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وما أعلى
من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الأولى فصعق من في السموات
ومن في الأرض أي خروا أمواتا أو مغشيا عليهم إلا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم لا يموتون
وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه أخرى أي نفخة أخرى هي النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام قائمون
من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم
في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها من العدل سماه نورا
لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم
الجليل إلى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل ووضع الكتاب
للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن
الجمع وقيل اللوح المحفوظ المقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل
نفس ما عملت أي جزاءه وهو أعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا
إلى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها إثر
بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت
إذ الجماعة لا تخلو عنه حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم
خزنتها تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان
الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد أتونا وأنذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير
قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي مقدرا خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل القول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس
والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن
الحق في أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد فصل في سورة
الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق
مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى إذا جاؤوها وفتحت

أبوابها وقرئ بالتشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي وطبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب وأورثنا الأرض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء أي يتبوأ كل منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم أجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة في منازلهم حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضي بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرئ بإمالة الألف وبإخفائها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين ونصبها بإضمار اقرأ أو نحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل والكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ولو خص لمعنى القوة والعلم ما ذكر بعدهما من غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو إبدال وجعله بدلا وحده من بين الصفات مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا إله إلا هو فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه إليه المصير فحسب لا إلى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق إلا الذين كفروا وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها واستنباط حقائقها وكشف معضلاتها وتوضيح مناهج الحق في مضايق الأفهام ومزال الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام إن جدالا في القرآن

بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما علم من تسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بإقبالهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فإنهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسبما نطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم وهمت كل أمة من تلك الأمم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ بمعنى الأسر وجادلوا بالباطل الذي لا أصل له ولا حقيقة له ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فأخذتهم بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك أي كما وجب وثبت حكمه وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضا على الذين كفروا أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه السلام فإن ذلك للإشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب أعاديه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى أنهم أصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أي كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به إيمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لإظهار فضيلة الإيمان وإبراز شرف أهله والإشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعي إلى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم إيذان بكمال اعتنائهم به وإشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث أن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين

اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن وراءهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على شمائلهم ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح
به الآخر ربنا على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء
رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما و
وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه
وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات
عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول
الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلهم معهم ليتم سرورهم
وتتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد
الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم وان يكونوا اعلى درجة من ذريتهم كما قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول
اين ابي واين ولدي واين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال
ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار
وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال
فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
اي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات
اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او
المعاصي في الدنيا فهو اقرب ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين
كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من
مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم
بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها اشد الانكار واظهروا
ذلك على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله انفسكم
الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون
اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف لمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف
من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين
في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من
مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي
اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين و
احياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران

فان الاماتة

فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين
اثنتين على طريقة قوله من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا
مسحت قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم
الحياة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحياة بالاعدام
وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياءين
ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع لكن
لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف
بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا به
الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو
الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق
القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد
الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم
نفعا واما ذكر الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصودهم
الاصلي الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل
للابهام اي من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم
السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا بقيد الخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله
في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وايراد
اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية لما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم
وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء
في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فلا يفعل ما يفعل ولا يحكم ما يحكم الا بالحق وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته
فلا نهاية لشقائه فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده
بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة
على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات
الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ
فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون
مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات
نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع
ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم

الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو مخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة
به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم
المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها
واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره
فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي
الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال
كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي
ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي
اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام
او الروح لانها تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة
لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من
شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق
اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او
اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا
من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع من السؤال والجواب بطريق المقاولة
عطفا على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنفة تقع جوابا من سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فما
ذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه
لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما
يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من
تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء
بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت
من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ
لا يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى اذا اخذ
في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى فان كون ذلك اليوم بعينه
يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم
الآزفة اي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي
مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت
التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا

ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف
وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال
مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي
لا شفيع مشفع على نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت
الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور
من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض
بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال
من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات
وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ
اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله
ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام
الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوان
واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في
الملائكة الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة
رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته
ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع
وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع
الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف
ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال
فرعون ذروني اقتل موسى كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل
من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت
عن معارضته بالحجة وعدلت بالمقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي
وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها

على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى
وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم
اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد
ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على ابطال دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد
وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع ما تقوله اللعين
من ضرب قتله اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا له و
اظهارا لمزيد الاعتنا بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبي عن الحفظ والتربية لانها التي يستدعيه واضافه اليه
واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم
فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من جبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراة على الله
تع وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا
وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول
لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتامل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد
جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى
عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه
لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا
او يصبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما
ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول
لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من
باس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجي
باس الله تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا
بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الراي الا
سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث قال
مستشعرا للخوف الشديد ولكنه يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد
كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه
الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل
يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح

وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تع وما ربك بظلام للعبيد لان المنفي فيه
ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد
تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان ينفر بعضهم من بعض كقوله
تع يوم يفر المرء من اخيه او عن التناد اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة
صفوفا فيتراجعون يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد
اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها فيما نقل انفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب عم على ان فرعون موسى ثم او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف
بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحات فما زلتم في شك مما
جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا
بنفي البعث كذلك مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك
فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول
او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون
يجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب
من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون
كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف
والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق
اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال
الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد
قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى
الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال
وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تع ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان
وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى
وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة
الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن من آل

فرعون وقال مؤمنهم يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه أهدكم سبيل الرشاد أي سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود وفيه
تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع أي تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل
لهم أولاً ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها رأس كل شر ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى
سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وإن الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا
سيئة فلا يجزى في الآخرة إلا مثلها عدلاً من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل
صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي
بغير تقدير وموازنة بالعمل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً للإيذان بأنه
لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار كرر نداءهم إيقاظاً
لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به
الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم
إلى الخير وتدعونني إلى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي أراك حزيناً أي ما لك تكون حزيناً وقوله تعالى تدعونني
لأكفر بالله بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بإلى واللام وأشرك به ما ليس لي به بشركته له
تع في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وأنا
أدعوكم إلى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه إليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله
قوله أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أي حق وثبت عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلاً
أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء
إليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم وهو القطع كما أن بد من لا بد فعل من التبديد
أي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الأصنام أي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقاً ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل
بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وأن مردنا إلى الله أي بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل
في حكمه وكذا قوله تعالى وأن المسرفين أي في الضلال والطغيان كالإشراك وسفك الدماء هم أصحاب النار
أي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصائح
وأفوض أمري إلى الله قاله لما أنهم كانوا توعدوه إن الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم مع موسى عم وحاق بآل فرعون أي بفرعون وقومه
وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فإنه فر إلى جبل
فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم سوء العذاب الغرق أو القتل
والنار يعرضون عليها غدواً وعشياً جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار خبر مبتدأ
محذوف كأن قائلاً قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب
ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط في الحيوق أن يكون كما يتوهم ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهموا بتعذيبه
بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة
على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار إحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على

صحيح ج م

على السيف إذا قتلوا به وذلك لأرواحهم كما روي أن ابن مسعود رضه أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشياً إلى يوم القيامة وذكر الوقتين إما للتخصيص وإما فيما بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم وإما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أي عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه أو
أشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون
أشد العذاب وإذ يتحاجون في النار أي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا
وهم رؤساؤهم إنا كنا لكم تبعاً أتباعاً كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع أي أتباع على إضمار المضاف أو تبعاً على الوصف بالمصدر
مبالغة فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بالدفع أو بالحمل ونصيباً منصوب بمضمر دل عليه مغنون أي دافعون عنا نصيباً
أو بمغنون على تضمينه معنى أي مغنون عنا حاملين نصيباً أو نصب على المصدر به كشيئاً في قوله تعالى لن تغني عنهم أموالهم
ولا أولادهم من الله شيئاً فإنه في موقع غناء فكذلك نصيباً قال الذين استكبروا إنا كل فيها أي نحن وأنتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا وقرئ كلاً على التأكيد لأن اسم إن بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف إليه
ولا مساغ لجعله حالاً من المستكن في الظرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فإنك تقول
كل يوم لك ثوب ولا تقول قائماً لك ثوب إن الله قد حكم بين العباد وقضى فيما بينهم قضاء منفذاً لا راد له ولا معقب
لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم
لخزنة جهنم أي للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم
أبعد دركات النار وفيها أعتى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة
لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً أي مقدار يوم أو في يوم ما من الأيام على أنه ظرف لا معيار
شيئاً من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان
دون رفعه رأساً أو تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لأن ذلك عندهم مما ليس في حيز الإمكان ولا يكاد يدخل تحت
أمانيهم قالوا أي الخزنة أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم
في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم
يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء
وتعطيل أسباب الإجابة قالوا بلى أي أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا
أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فإن الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم
عن الدعاء بعدم الإذن فيه مع أنه عن بيان أن السبب من جهلهم كما ينبئ عنه الفاء ربما يوهم أن الإذن في حيز
الإمكان وأنهم لو أذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطماعهم في الإجابة بل إقناطهم منها وإظهار خيبتهم
حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي ضياع وبطلان وقوله تعالى إنا لننصر رسلنا والذين
آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه
حكمته وهو أن شأننا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم في صورة الغلبة
امتحاناً إذ العبرة إنما هي بالعواقب وغالب الأمر ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة عبر عنه بذلك للإشعار

بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والاخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار
اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم
من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه
فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك وجميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل
الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في
بعض الاحايين فانه يغفر لك ويكفيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله
ويجادلون بجاحد بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان المتكلم
في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في
صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا
ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لجدالهم
في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة
او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى
تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه
رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم
واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بينهما من التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل
والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار
ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم
اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من

افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان
خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول فيه تسره مرارا
والنهار مبصرا اي يبصر فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على
الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه
تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك
الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له
وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق
بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من نعوت الجلالة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب
العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه بذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع
فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته و
وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي
الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات
او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية
الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب
اي في ضمن خلق آدم منه حسبما تحقيقه وان ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على
علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا وتستانفوا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام
في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من
قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت
او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم هو الذي يحيي الاموات
ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون
من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير
لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومامور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها
من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم
الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد
على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله لبيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد

بخلاف الوجود وهو الامنية الفارغة فلا تكترث به اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة
عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين
كذبوا بالكتاب اي بالقرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول
او في حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في
الحال وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما
ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب
عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ محذوف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل خبره قوله تعالى يسحبون بحذف العائد
اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء
على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في
معنى اعناقهم في الاغلال او اضمار الباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه
بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اي ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب
الى باب ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى
شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون اي تتوسعون في البطر
والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا
خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى
ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة
لتأكيد الشرطية ولذلك الحقت النون الفعل ولا تلحقها مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك
قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب
ويدل على شدته ما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل
اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول
ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته
المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها فاذا جاء امر الله
بالعذاب وتعذيبه في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت

مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون
دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون
تفصيل لما دل عليه اللام ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي
لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق
به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب
ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم
من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب
والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فتخصيص
الركوب والاكل منها بتعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منها مختص ببعض معين كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ
الحاجة عليها تعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فأي آيات الله اي فأي آية من تلك
الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لأي
واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل
لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه
أفلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا
اكثر منهم واشد قوة وآثارا استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية
والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية
او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك
وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو
علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى
حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا
ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما رأوا بأسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم
الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم اه هو انهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا
فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنت الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة
ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان

يجوز تعلقه بكل منهما ولا على ان كلا منهما

معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها
يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به صح

البأس على انه اسم مكان محذوف استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن
الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدأ خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر
وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبره او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه
او خبر آخر او خبر لمحذوف ولعل نسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة
الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت
تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم
والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى اي قرآنا عربيا كائنا لقوم الخ او بتنزيل او بفصلت من الرحمن الرحيم
لكن بصلة له وبفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان
من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم
فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله عليه السلام عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل
بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف
ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنع التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب
ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم
له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل اي على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون
اي على ديننا او في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين
للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما
ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني
وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا
يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل
وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم
فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل في الفاء في قوله تعالى فاستقيموا
اليه تجدها ناطقة بما ذكرنا من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص
في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك
اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث
جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على

لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن واصله
الثقل او لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة
اما لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج
الى التأكيد واما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم
به اي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد
في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب
حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع
لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف
لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطب وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر
رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته
ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة وجعل الجعل ابداعيا واحداث او العقل بينهما بما ليس
خارجين عن حيز الصلة مرفوع بان الاولى متجردة بقوله تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مؤكدة
لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد كالفصل بهما كلا فصل على ان فيه مزيد التنبيه على ان تجدد المعطوف عليه كاف في تحقيق
ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها
وجعل وقيل هو كلام مستأنف واياما كان فالمراد تقرير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل
او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها ونفعه عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها وليظهر للنظار ما فيها من صور
الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان
واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لاهلها من الانواع
المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور
المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين واما قيل في اربعة ايام اي تتمة اربعة ايام تصريحا بالفذلكة سواء مصدر
مؤكد لمضمر هو صفة للايام اي استوت سواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها
وقرئ بالرفع اي هو سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او
بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى
الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان
بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي
ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان امر ظلماني عبر عنها بها عن المادة او الاجزاء المتصغرة المركب عليها منه

إليها معاً حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض أبرزا
وجودهما ووجود ما فيهما ائتيا أي كونا وأحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما
تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعاً أو كرهاً تمثيل
لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
لكمال تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أراده وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة
فإن الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وإنما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله
تعالى ساجدين فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مرتب
على تكوينها أي خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول
وتمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما
فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل وأوحى في كل سماء أمرها عطف على فقضاهن أي خلق
في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين
كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم بما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه
ومطلق عن القيد المذكور وأياً ما كان فعلى ما تقرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء
وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وما في سورة البقرة
من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات فللدلالة على تقدم
خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق
السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه
اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه تعالى خلق
جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق آدم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات
لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه من أنه تعالى خلق الأرض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر
وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الأمر بالإتيان إنشاءها وإحداثها
بل إنشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه
أيتها الأرض مدحوة قراراً ومهاداً لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفاً لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع على الوجه
كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الأمر بالإتيان ليس خلق جرم
الأرض فقط بل خلق ما فيها أيضاً من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الأولين
ويحمل الأمر بالإتيان على تكوينهما على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مرتبة على ذلك التكوين وإنما اللازم
ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا اقتضاء في ذلك
تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يحمل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوباً بمضمر قد حذف
على شريطة التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها إلى أنفسها ويحمل البعدية إما على

أنه قاصر عن الأول في الدلالة على القدرة الباهرة كما قيل وإما على أنه داخل في الأنام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض
أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصاً في تقدم وجود الأرض
عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة في ذلك على الترتيب
قطعاً ونحو نقل الإمام الواحدي عن مقاتل رحمه الله تعالى أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلاً عن دحوها فلا بد من
حمل الأمر بالإتيان حينئذ أيضاً على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا اقتضاء في ذلك لتقدم خلق السماء على خلق الأرض كما
لم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي
الرتبي كما جنح إليه الأكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول وعلى ذلك مبنى الكلام في
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً الآية وأما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفيه مقام
الامتنان حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فإنها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات
إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر وقوله تعالى وحفظاً مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أي وحفظناها من الآفات أو من
المسترقة حفظاً وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً ذلك الذي ذكر بتفاصيله تقدير
العزيز العليم المبالغ في القدرة والعلم فإن أعرضوا متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أي فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم
الأمور الداعية إلى الإيمان أو عن الإيمان بعد هذا البيان فقل لهم أنذرتكم أي أنذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الإنذار
المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة أي عذاباً هائلاً شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقاً فصعق صعقاً وهو من باب فعلته ففعل
إذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفاً لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة
لصاعقة عاد أي الطائفة إذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين أيديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم
أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل
مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فإن هوداً وصالحاً كانا داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء
من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى ألا تعبدوا
إلا الله أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة قالوا لو شاء ربنا أي إرسال الرسل لأنزل
ملائكة كما قيل فإنه عار عن إفادة ما أراده من نفي رسالة البشر وقدر فيما سلف لأنزل ملائكة أي لأرسلهم لكن
لما كان إرسالهم بطريق الإنزال قيل لأنزل فإنا بما أرسلتم به أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما
أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا
رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علماً وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم
عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك
الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به و
رسول الله عليه السلام ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم إلى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ

فانطلقوا اليه وحكوا له فقال ابو جهل ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر
ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل
واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا
فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظيم والولاية وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم
حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده
او لم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى
والقدر على كل قوي وقادر وايثار وروده في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة
وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرون وكانوا يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا
كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق
بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر
مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح واضافة العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه
وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال
الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ
ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة
على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف
به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوبتهم الآجلة اثر بيان عقوبتهم العاجلة والتعبير
عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين
ويرده ما سياتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله
وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة اللائقة
تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها
واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور العبارة
عن تفصيله كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما دل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية
ليحشر او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا ما اقترفوا بها

وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات
المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سالوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا فعنكن كنت اناضل وفي رواية
بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان
الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء
وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سالوها سؤال التعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة
الله تعالى الذي انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم
ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان
المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على
تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون
في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة
الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء راسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح
المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى لا بانها كانت
عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان
وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا و
لا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا
بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري
مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليتم ما يحكى من الحال جميع اصناف الكفرة وذلكم
اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدا وقوله تعالى ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم
ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غاية دركات النار
وان يستعتبوا اي يسالوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها
ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي
ان يسالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء
اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث
اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق

ولولاه لا لتفتتم ان يطلع بما اقدمتم ... بحجه الوجوه التي تحتجبوا من شهادة الجوارح منه عفي عنه بخطه

وعلل الثقفيان عبد ياليل وحبيب والقرشي ربيعة وصفوان بن امية منه عفي عنه بخطه

وصدقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى ولكن حق
القول مني لاملان جهنم منكم اجمعين كما مر آنفا في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا
يدل على ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد
خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال
بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بآفات من الرغو والشغب والتصدية والمكاء
وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا
هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع
الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء
اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف
لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله
تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعداء الله تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء وذلك
خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله
تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد و
هو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على
حالها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون منصوب بفعل مضمر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون
بالآيات الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي
بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه
اعطنا اللذين اضلانا وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا
والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا
على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله ومدار ما روي عن
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت
بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر
هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا
على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوع مكروه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى

كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ
لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك
عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة
وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها
اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب
وهو ابلغ من الاول والكلام في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما
تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الامور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
اي الى توحيده تعالى وطاعته وعن ابن عباس رضي الله عنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه
وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي
مذهبه لانه تكلم بذلك ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي لا يستويان واحدة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت
لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخرج
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شأنهم الصبر وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب
وكان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ مثل النخس شبه به وسوسته
لانها تبعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي
ان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه
ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل
حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان
بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل
في سلك آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود

عند الشافعي وعندنا آخر الآية الاولى لانه تمام المعنى فان استكبروا اي عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت
بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقرئ ربأت
اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها
الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا
بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام
من يأتي آمنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان
آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما
جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو خبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي
سد مسده خبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتأتى معارضته
جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل
من جميع جهاته صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة
لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم
غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا
جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى
أأعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كالاحمري والمعنى
الكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام
وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي الكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على
الاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام
العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها
متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدأ خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو اي القرآن في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر او في آذانهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من وقر وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل للظرف وقيل وقر مبتدأ
والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف
الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين في آذانهم وقر اولئك اشارة الى الموصول
الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام

665

عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم
واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك
في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم
والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم
باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه اي من القرآن وحمل الضمير
الاول لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمل او فنفعه
ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن
بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل العذاب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر
ما فيه الكلام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم
او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة
على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى ومن الثانية مزيدة للاستغراق واحتمال
ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا
بعلمه المحيط ويوم يناديهم اي ينادي الله تعالى المشركين اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم
منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك
اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم ح وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك
اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن
انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد
كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم و
ظنوا ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء
الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤس قنوط
فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ
في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمة الله تعالى
لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
اي حقي استحقه بمالي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي
ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه
من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين
اظهرناها بالصور الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم

من سورة يونس عم ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض أي عن الشكر
ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتباعد بالكلية تكبراً وتعظماً والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه
ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض أي كثير مستعار مما له عرض
متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات قل أرأيتم أي أخبروني إن
كان أي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الإيمان به من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع
الموصول موضع المضمر شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق وهو ما
أخبرهم النبي عم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسره الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا
والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم وهو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضي الله عنه في الآفاق أي منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما
يفتح الله من القرى عليه عم وعلى المسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أي في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر
والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار
وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات
الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون واعترض بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك
أجيب بأنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً حتى يتبين لهم أنه
الحق أي القرآن أو الإسلام أو التوحيد أولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن
القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام أي ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد إلا مع كفى وقوله تعالى أنه على كل شيء
شهيد بدل منه أي ألم يغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد
على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله تعالى في الآفاق وفي أنفسهم
سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع
يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة
ولما أيدها حاملوه بهذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك
بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع إشعاره بما لا يليق بحاله عم من التردد فيما ذكر
تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح في أن الكلام
في الكفرة ونسبة الشك إليهم وقرئ في مرية بالضم وهي لغة فيها ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها
ظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله عم من قرأ سورة السجدة أعطاه
الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ

سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الخبر كذلك يوحي إليك وإلى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة
على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيحاءها مثل إيحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على
فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على أنه مفعول ليوحي على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك
على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثاني إلى إيحائها وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل
أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحي إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة
ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإشارة إلى الحق وما فيه من صلاح العباد في المعاش والمعاد أو مثل إيحائها أوحي إليك
عند إيحاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغاير له كما في قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيذان باستمرار الوحي وأن
إيحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة أو إيحائها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بعنوان العزة والحكمة
وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره
المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي فقيل الله
والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في
السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه السابق استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد
السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن
والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن
أي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من
تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض
حيث أثرت من جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها في معنى الأرضين والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً في إيمان الكافر
وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم عم الحيوان بل الجماد
وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم
إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه
عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه أولياء
شركاء وأنداداً الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول
إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف
النصب على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً
لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير
فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين لتنذر

ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء
وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل والتعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب
فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد
الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
اي متفارقين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة
قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي في قوله على دين واحد فمعنى قوله تع ولكن يدخل من يشاء
في رحمته انه تع يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته
تع لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته
تع كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام
كما في قوله تع ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله
ولكنهم وبني امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المراد بقوله تع من يشاء ويترك
الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال
بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي
يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تع كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس وفترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال
فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر
بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتاثر به الآخرون
ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير
ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء
ان يكون للظالمين ولي او نصير ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع
ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء
في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام
وغيرها هيهات وقوله تع فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان
ارادوا اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شانه ذلك وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله
عم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب
المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب

ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة
حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله عم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه
الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله عم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا دلالة في هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام
فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف
للاسم الجليل في قوله تع الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا
او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو وفيه اي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس
والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء في شان من الشؤون التي من جملتها هذا
التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن
كان يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو
السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ في الاحاطة به فيفعل
كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان
نسبته الى المذكورين عليهم الصلوة تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عم اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزائم من مشاهير الانبياء وامرهم به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم
ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان موسى عم وتفرد النصارى في حق عيسى عم
والا فما من نبي الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل
الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور به والمراد
بايحائه عم اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تع وكذلك اوحينا الآية واما ما يعمها وغيرها مما وقع في سائر المواقع
التي من جملتها قوله تع ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عم بالذي الذي هو اصل الموصولات لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله و
ما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عم القادح لانكار الكفرة والالتفات
الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عم
للايذان بكون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تع شرعه
لهم على لسانه عم ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تع وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر
ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا
اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه
قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس كذلك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي عم

مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عم وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الظاهر انه
متوجه الى امته عم وانهم المتفرقون كما سيحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون
الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر
على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد
ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتبي الى ما تدعوهم
اليه من يشاء اي يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب
اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب
الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضه هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم الا من
بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله عم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم
بمبعثه عم وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في
وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم
في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي
بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا
الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
اي وان الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن او الكتاب
مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب
اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبياء عم وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم
بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله
اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم
وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على
ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عم لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم
اجمع عليه اولئك الاعلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم
عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع
الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامته ذلك الدين والعمل بموجبه
فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين على رسول الله عم سبب للدعوة اليه
والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه
نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم
عليه وعلى الدعوة كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب

اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف
لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع
والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما
انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زائدة
اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا
كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة
لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة ولا للمخالفة محل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا
وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال
والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسول الله عم وايده بنصره او من بعد ما استجاب له
اهل الكتاب بان اقروا بنبوته عم واستفتحوا به قبل مبعثه عم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا
وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم
عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره
او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل
بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب
الناطق بالحق قريب اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث
والمعنى ان الساعة على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن
فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون
متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها
خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون
في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا
من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات
فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم
صنوف اللطائف مالا يكاد يناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيف يشاء فيخص كلا
من عباده بنوع من البر على ما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة حرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع
الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة
من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه نضاعف له
ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها
نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمناه له لا ما يريده ويبتغيه وماله في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة

في الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء ام لهم شركاء اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا
لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها
اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن
كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون
يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح
عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقرير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم
غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للتهديد لا ان سوء حالهم غير مختص
برؤيته دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا
او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
متنزهون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند
ربهم ظرف للاستقرار العامل وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من احوال المؤمنين وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله
عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روي انه
اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزل اي لا اطلب
منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة
ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي عليه السلام حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل
القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة اي يكتسب حسنة طاعة ولا سيما مودة ذي القربى منا ولا اولياء عن السدي انها المودة
وقيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد
الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام
يقولون بل يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي
كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو
اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى
على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي
بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء
ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل
تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ

على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به
ذلك وقيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو
كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق
بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد
له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده التوبة الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل
مسجد رسول الله عليه السلام وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا
ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام
كما في قوله تعالى واذا كالوهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء
الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال دعاكم ولم تجيبوه
ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب
شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لظلم بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد
فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيئته انه بعباده
خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر و
يغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي
ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال
من بعد ما قنطوا ايسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر
رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر
انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته
خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث
فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على
الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما

يخرج من الملح وقد يجوز أن يكون للملائكة عليهم مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله في السماء حيوانا يمشون
فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي أن النبي عم قال فوق السماء السابعة
بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء
والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم أي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى إذا يشاء
متعلق بما قبله لا بقوله قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته وإذا كإذ تجيء بمعنى الوقت كما تدخل
الماضي تدخل المضارع وما أصابكم من مصيبة أي مصيبة كانت فبما كسبت أيديكم أي فهي بسبب
معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في ما من معنى السببية
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه
للثواب بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وإن هربتم من أقطارها
كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر
وقرئ الجواري كالأعلام أي كالجبال على الإطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة إن يشأ يسكن الريح
التي تجري وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات لا غير متحركات
أصلا إن في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته لآيات عظيمة
في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما
لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر
ونصفه شكر أو يوبقهن أو يهلكهن بالعصف وهو عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن
بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل وأجراه حكمه على العفو في قوله تعالى
ويعف عن كثير لأن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم ونحوه في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى
ولنعلمه من تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون
المعنى أو إن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص أي مهرب من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما أوتيتم من شيء مما ترغبون وتنافسون فيه فمتاع الحياة الدنيا أي فهو متاع تتمتعون
به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وأبقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره أصلا والموصول الأول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث إن
ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضه أنه تصدق أبو بكر
رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الإثم أي الكبائر من هذا الجنس
والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون هم وما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء
يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس
رضه كبير الإثم الشرك والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله عم إلى الإيمان
فاستجابوا له وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل
الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون أي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه

بذكر التشاور لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعل الله
تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا ينافي وصفهم بالغفران
فإن كلا منهما فضيلة محمودة في موضعه ورذيلة مذمومة في موضع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعن زلات الكرام محمود وعن المتغلب
ولعفوات اللئام مذموم فإنه إغراء على البغي وعليه قول من قال إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم
تمردا ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
بيان لوجه الانتصار من خصال حميدة مع كونه في نفسه إساءة فالتعبير بالإشارة إلى أن البادي هو الذي ضل نفسه فإن الأفعال
مستقبحة لا يجوز فيها حسنا إن جزاء أخيه وإن شاء أفتر وفيه تنبيه على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثاني لأنها تسوء من نزلت به
فمن عفا عن المسيء إليه وأصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء كما في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وعن الحسن أنه لا يحب الظالمين البادئين
بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ما ظلم وقرئ به فأولئك إشارة إلى من باعتبار المعنى
كما أن الضمير في لهم باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاقبة والمعاتبة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس
يبتدئونهم بالإضرار أو يعتدون في الانتقام ويبغون في الأرض بغير الحق أي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا أولئك الموصوفون
بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب أليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره
إلى الله تعالى إن ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في
قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا تؤدي العفو إلى الشر كما أشير إليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق يقولون هل إلى مرد أي رجعة إلى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها أي على
النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متقاصرين
مما يلحقهم ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف
وقال الذين آمنوا إن الخاسرين أي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد
يوم القيامة إما ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي
للدلالة على تحققه وقوله تعالى ألا إن الظالمين في عذاب مقيم إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم وما كان
لهم من أولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل
الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه إلى النجاة استجيبوا لربكم إذ دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه من قبل
أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتي من الله
يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ أي مفر تلتجئون إليه وما لكم من نكير أي إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون
في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له
عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى الرسول عم أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم
إليه فما أرسلناك رقيبا أو محاسبا عليهم إن عليك إلا البلاغ وقد فعلت وإنا إذا أذقنا الإنسان
منا رحمة أي نعمة من الصحة والغنى والأمن فرح بها أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى وإن تصبهم سيئة أي
بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية

ويستعظمها لا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص
المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال
النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها
بما عملتهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل من الانتظام في سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر موضع المضمر لتسجيل
على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والأرض تحقيقه أن يملك التصرف فيهما وفي كل ما
فيهما كيف يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء إناثاً
من الأولاد ويهب لمن يشاء الذكور من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد أو يزوجهم أي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعاً
ذكراناً وإناثاً وقيل معنى يزوجهم أن تلد غلاماً ثم جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً وأنثى توأمين ويجعل من يشاء عقيماً لا يلد
يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو
أنثى وإما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن
الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء
والعرب تعدهن أعظم البلاء أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير
وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك
بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً ولإبراهيم
ذكوراً وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً وجعل يحيى وعيسى عقيمين إنه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل
ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر أي ما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا وحياً أي إلا بأن يوحي
إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد أوحى الله الزبور
إلى داود من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى أو من وراء حجاب فإنه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي
يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة أو إلا بأن
يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى أو يرسل رسولاً أي ملكاً فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو
الرسول البشري بإذنه أي بأمره تعالى وتيسيره ما يشاء أن يوحيه إليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الأنبياء في عامة الأوقات
من الكلام وقيل قوله تعالى وحياً وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف
واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم أحداً إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً وقرئ أو يرسل بالرفع على إضمار مبتدأ
وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله تعالى وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه
فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من
زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي
متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة حكيم يجري أفعاله على
سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما إلهاماً وإما خطاباً وكذلك أي ومثل ذلك الإيحاء
البديع أوحينا إليك روحاً من أمرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة
أبدية وقيل هو جبريل ومعنى إيحائه إليه عليهما السلام إرساله إليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب
أي أي شيء هو ولا الإيمان أي الإيمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليه العقول

لا الإيمان بالاستقلال بالعقل والنظر فإن درايته مما لا ريب فيه قطعاً ولكن جعلناه أي الروح الذي أوحيناه إليك
نوراً نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وإنك لتهدي تقرير
لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور أي وإنك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته
إلى صراط مستقيم هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ لتهدي أي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الأول
وإضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الأرض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد
وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً مما يوجب ذلك أتم إيجاب ألا إلى الله
تصير الأمور أي أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره وفيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى
عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسماً للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك
مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب المبين على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم
على أن مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين أي البين لمن
أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة
إنا جعلناه قرآناً عربياً جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها
قوله تعالى لعلكم تعقلون فإنها المحتاجة إلى التأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة
أعذارهم أي جعلنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا
على ما تضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية وإنه
في أم الكتاب أي في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرئ إم الكتاب لدينا أي عندنا لعلي
رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لإن وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل
بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم
عليها داخلة في حكم الإقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى وأنه في نهاية البراعة والإيذان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج
في بيانه إلى الاستشهاد عليه بالإقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به
كما أنه كاف فيها من حيث الإعجاز ولعلها أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالإقسام وإما مستأنفة مقررة
لعلو شأنه الذي أنبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما
بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إنزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بإنكار
أن يكون الأمر بخلافه فقيل أفنضرب عنكم الذكر أي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض
وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف
يقتضيه المقام أي أنهملكم فننحي الذكر عنكم صفحاً أي إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما
دل هو عليه فإن التنحية منبئة عن الصفح والإعراض قطعاً كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحاً أو بمعنى الجانب فينتصب
على الظرفية أي أننحيه عنكم جانباً أن كنتم قوماً مسرفين أي لأن كنتم منهمكين في الإسراف مصرين عليه

على ما هو حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتستحقوا العذاب المخلد لكن لسعة رحمتنا لا نفعل
ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم وجزاؤها محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في
الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تمويه لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه
تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله عم عن استهزاء قومه به وقوله فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش
لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي
حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي لينسبن
خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة
للاشعار بان اتصافه بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر
بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذي
جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا
تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد
الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا
به بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى
البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره
كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى تخرجون احياء
بالاحياء تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذي
خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضه الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض
والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه
واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما في سورة هود عم
تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع
باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا
عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما روي عن النبي عم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون ثم كبر ثلثا وهلل ثلثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده
قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تع اذ بدون اعتراف
المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون وفيه
ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله
تع فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته

ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تع ولئن سألتهم الآية اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم
واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ
جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون
ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان
جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تع واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ
داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد
الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة
اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه
بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تع آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالبنات
مؤنثا جعله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر من حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان
باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان
يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة
والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له ومن ينشأ في الحلية تكرير
للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا من شأنه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان
يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة لانكار
الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني اي
او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو الانسان في العادة
عنه غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار
المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره علاه واعلاه وعالاه وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم
على الله تع اقبحهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن على ان عبد الرحمن تمثيل لزلفاهم وقرئ انثى وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اي
احضروا خلق الله تع اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم
وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه
في ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهادات اهم
وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانهم الملائكة وقرئ يسألون من المفاعلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك ان
ما فعلوه حق مرضي عنده تع وانهم يفعلونه بمشيئته تع لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تع اياه منهم مع
اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان عبادتهم له بمشيئته تع
والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تع ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض
الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تع ما لهم بذلك

اي بما اراد وابتغوا لهم ذلك من كون ما ضلوه بمشية الارتضاء لا بمطلق المشية فان ذلك تحقيق تنطق به الآي من الآيات
الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه
لما اظهر وجوه فساده وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون
لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به
بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا
على امة
بحجة عقلية ونقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد
كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران
او الظرف صلة مهتدون وكذلك اي والامر كذلك من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى
ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف
مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند وتخصيص المترفين بتلك المقالة
للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين
اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي فقال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم او لو جئتكم اي اتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك
مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول عم
كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت
به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلوة والسلام
بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائره
نحو قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اي بالاستيصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اي واذكر لهم وقت قوله عم
لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا
مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به
مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام وما اما
مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او
متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما
وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم عم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته
ووصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك
منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان
اوصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين

للرسول

للرسول عم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى
جاءهم اي هؤلاء الحق القرآن ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد
بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية مبالغة
في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه
سببا لزيادة الكفران افضى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا
كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن
سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله عم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة
والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول
عم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل على احد هؤلاء
بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة
روحانية لا يترقى اليها الا همم خواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية
واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بحظوظها الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله
تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم
اي اسباب معيشتهم في الحيوة الدنيا قسمة تقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما
منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات
متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروا في اشغالهم حتى يتعايشوا
ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
واذا كان في تدبير امر معيشتهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير
امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم باعبائها ورحمة ربك
اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون
الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة
شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه
بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها
ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف
جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا
اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم
ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا
على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة

بالصفات المفصلة الاتي يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما
على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو
متاع كما في قوله تماما على الذي احسن والاخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان خير عند ربك للمتقين
اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن
وهو القران واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي
يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى
الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات
نقيض له شيطانا نهوله ونرين له الغفلة ولا نزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى
الرحمن ومن يعشو مخففة ان مرفوعة يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض لكل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم
اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها عن السبيل
الذي يدعو اليه القران ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل المتبين
المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم
لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما
لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان يكون غاية لامر ممتد كما عرفته وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية
مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة
الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له
يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الاخر فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الاية حكاية لما سيقال لهم
من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا
باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم
انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل
كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم
ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم
التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتشتفوا بذلك وكان رسول الله عم يبالغ في المجاهدة
في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القران
فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وقد تمرنوا في الكفر
واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على

العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور
من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي
فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا
والاخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم
اي او اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا
وقهرنا ولقد اراه عم ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرائع سواء عجلنا
لك الموعود او اخرناه الى يوم الاخرة وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل
للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن
قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرءون الكتاب
من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسئول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم
وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم السلام
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادي ولقد ارسلنا موسى باياتنا
متلبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله عم والاستشهاد
بدعوة موسى عم الى التوحيد بعدما اشير الى اجماع جميع الرسل عم عليه فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجئوا
وقت ضحكهم منها اي استهزءوا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية من الايات الا هي اكبر من اختها
اي الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الايات
والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها والا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك
الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر
وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم
الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد
عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك
العذاب بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون اي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا
بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجئوا
وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه اي في مجمعهم وفيما
بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري
وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر
فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه
ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام
قاله افتراء عليه عم وتنقيصا له عم في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عم من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله

مع قدرة ونيت سؤلك الآية وأم منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال أثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر
لديكم أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي أو أم متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم
إذا قالوا الآن أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب
فإن ابصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد
الملك إن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من الذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور
جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ بذلك وقرئ ألقى عليه أسورة
وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستنزلهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه
فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا أي أغضبونا
أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن
بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع
خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كخشب وقرئ
سُلَفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال
لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال
اللعين خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا
أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى إذا قومك منه من ذلك المثل
يصدون أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا
عليه من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان فيه كيعكف ويعكف وهو الأنسب بمقام
وقالوا أآلهتنا خير أم هو حكاية لطرف من المثل المضروب فقالوه تمهيدا لما بنوه عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أي
ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا حيث كان هو في النار فلا بأس أن نكون مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من اللغو
ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم سكت عنه ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية فإن ذلك مع إيهامه ما لا يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة الإفحام من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد
روي أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما أجهلك بلغة قومك
أما فهمت أن ما لما لا يعقل وإنما لم يخص صلى الله عليه وسلم هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص
كلمة ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم لاختصاصه في عبادته في الجملة فقيل للمبطل إلا بطريق عبارة النص
بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين أن
أو هم نزلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد قضي المقام عن قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى بل أنا على ما ظهر من
الأحوال المكرة ... وما ضربوه لك إلا بالمظاهرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك
ذلك المثل الآية إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون أي لد

شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى
من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقولهم أآلهتنا خير أم هو تفضيل على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة
ومعنى ما ضربوه إلا جدلا ما قالوا هذا القول إلا للجدل وقيل نزلت إن عيسى الآية لما قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل
أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه السلام
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به ويجوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله
تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله
وعبدوه ونحن أشف منهم قولا حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقوله تعالى إن هو إلا عبد
أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أي أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه
الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب إليه ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا
قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض
بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه عليه السلام ليس باطلا أو باطل على زعمهم
وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن
خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته
حتى يتوهم عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف وأخف من حالهم وأما على الوجه الثالث
فلرد وهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى عليه السلام في الحقيقة وفيما أوحي إلى الرسول عليه السلام ليس إلا عبدا
منعما عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضى بمعبوديته له وقوله تعالى
ولو نشاء الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبدع مع التنبيه
على سقوط الملائكة أيضا عن درجة المعبودية أي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا أي لخلقنا بطريق التوالد منكم
وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الإبداع في الأرض مستقرين فيها كما جعلناهم
مستقرين في السماء يخلفون أي يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون
الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة
بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم إليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وإنه وإن عيسى لعلم للساعة أي أنه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو بإحياء
الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم أي علامة
وقرئ للعلم وقرئ للذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية
بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الإعلام بالساعة فلا تمترن
بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون أي واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول الرسول مأمور من
جهته تعالى هذا أي الذي أدعوكم إليه أو القرآن على أن الضمير في أنه له صراط مستقيم موصل إلى الحق ولا يصدنكم
الشيطان عن اتباعي إنه لكم عدو مبين بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء

عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او الشرائع الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل
او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر يعني وعنه اللحج بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تع ان الله هو
ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد والتعبد
بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استئناف من جهته تع مقرر لمقالة عيسى عم
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا
من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تأتيهم الا اتيان
الساعة بغتة اي فجاءة لكن لا يعنون لكونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك
قوله تع وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم
الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب
الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب
ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى
او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو
آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها
الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب
كالقصاع والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي
وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له
زوال بالآفة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدا وخبر التي اورثتموها بما كنتم
تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدا و
والموصول مع صلته خبره وقيل هو الجنة كالوجه الاول والجر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بالمحذوف لا باورثتموها كما
في الاول لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فحسب منها تاكلون اي بعضها
تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار
ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الكاملين
في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبران
او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت
قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما

ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا اخازن النار يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا من قضى
عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال
انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضه انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة
وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة
الله تع مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تع ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا
يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا
مبتدا انكار على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله عم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار
لما حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي للانكار الوقوعي والاستبعاد وان اريد الاحكام
صورة فهي للانكار الواقعي والاستقباح اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله عم فانا مبرمون كيدنا
حقيقة لا لهم او فانا مبرمون كيدنا بهم كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تع ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا
يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره عم ام يحسبون اي بل يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به
انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الكرام
يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعها والحال ان رسلنا
يكتبونه قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة
ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم
من كونهم بنات الله تع ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه عم اعلم الناس بشؤونه تع وبما
يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله عم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال
الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما ينبئ عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين له تع وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد
يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام
واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها
جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يرعووا عن الغي بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي
يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب
في الفصل جواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق
بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة
الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر

على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة أمرا من عندنا نصب على الاختصاص أي أعني بهذا
الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز أن يكون حالا من كل أمر
لتخصصه بالوصف أو من ضميره في حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان في المعنى
أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حال من أحد ضميري أنزلناه أي آمرين أو مأمورا إنا كنا مرسلين بدل من إنا كنا منذرين
وقيل جواب ثالث وقيل استئناف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للإرسال مفعول له على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد
وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب على العباد لأجل إفاضة
رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها و
وإضافته إلى ضميره صلعم لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كقوله تعالى وما يمسك
فلا مرسل له أي يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا إرسال رحمتنا ولا ريب في أن كلا من قسمة الأرزاق
وغيرها والأوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية للتكليف العبادة هو تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع أي
تلك رحمة وقوله تعالى إنه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته رب السموات والأرض
وما بينهما بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على إضمار مبتدأ إن كنتم موقنين
أي إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم موقنين في إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما إذا سألتهم
من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا إله إلا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها
وقيل خبر لقوله تعالى رب السموات الآية وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم
الأولين بإضمار مبتدأ أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع
إلى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين في إقرارهم
لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في قوله فارتقب لترتيب الارتقاب والأمر
على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما أي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين أي يوم شدة ومجاعة فإن
الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار
أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلعم دعا عليهم فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز و
كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله
تعالى يغشى الناس أي يحيط بهم هذا عذاب أليم أي قائلين ذلك فمشى إليه رسول الله صلعم أبو سفيان
ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وأوعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف
عنا العذاب إنا مؤمنون وهذا قول ابن عباس رضه وابن مسعود رضه وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو
دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلعم أول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يا رسول الله صلعم وما الدخان فتلا الآية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فإن قوله تعالى أنى لهم الذكرى الآية

والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما وإله مبتدأ لأنه مؤد إلى لزوم خلو الجملة عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول
وإله خبر المبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية لا على سبيل الاستقرار
وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي
له ملك السموات والأرض وما بينهما إما على الدوام كالهواء أو في بعض الأوقات كالطير وعنده علم الساعة أي
العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة وإليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحصبون بالتاء
ولا يملك الذين يدعون أي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما زعموا إلا من شهد بالحق
الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد باعتبار
لفظها والاستثناء متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ولئن سألتهم
من خلقهم أي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الإنكار لغاية بطلانه فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته
إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر إما على أنه عطف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم
قوله يا رب أي فإن القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
جوابه وفي الإقسام به من رفع شأنه وتعظيم دعائه والتجائه إليه ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل
الساعة أو بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح
عنهم فأعرض عن دعوتهم واقنط عن إيمانهم وقل سلام أي أمري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم تسلية له و
تهديد لهم وهو وعيد من الله تعالى وتسلية لرسول الله عليه السلام وقرئ تعلمون على أنه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة إنا أنزلناه أي الكتاب المبين الذي هو القرآن
في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبرئيل
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلعم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول
القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأ
وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلعم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة إنا كنا منذرين
استئناف مبين لما يقتضي الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله
إنا أنزلناه معترض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل أمر حكيم استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور الحكيمة أو
الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض
وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه
الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة
القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرئيل وكذا الزلازل والخسوف والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسماعيل
صاحب السماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على

لطلاقهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني عن التذكر والاتعاظ باعتراضهم من الواجبة اي كيف يتذكرون
او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال
انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق
باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه العظائم الموجبة
للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا اي في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى انه مجنون او يقول
بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع
ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او
زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين
للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاية صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه
من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتلبثون
يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان
ان مانعة عن ذلك اي يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الآية وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على
ان يبطشوا بهم البطشة او نجعلها باطشة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عم اليهم او اوقعناهم في الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين
او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل
وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون
الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي الآية وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل
للامر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وقد صدقني بالمعجزات القاهرة
وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى
اني آتيكم اي من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او
او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجناس ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم
اي التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني
قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فا
فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بشر واذى فليس ذلك
جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن
يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عم ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر
ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه
باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فأسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال
ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله

تعالى ان تقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا
مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم
جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
محسنة ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فيكون واورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت
عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم
فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد
عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين
ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بان فعلنا بفرعون وقومه
ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم
من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون
او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في الاجرام اولا وتبيينه بقوله
تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا مع الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين
اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم
في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في
بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء منهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من
الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في
غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات
موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما
تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى
ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين
فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من
قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب
ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة
والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله دونه وكان يكتب في عنوان كتابه
بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضه انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون

كما يقال لهم الاقيال لانهم متقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار
عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة القوة
والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقها غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما
وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء
الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل
وفصل الرجل من اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاشياء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من
الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينتصر منه لمن اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة
الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت تغلي في البطون
وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية
فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك
انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله
عم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك او
عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم
ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله
في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو
ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في
جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من
سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه
معرب متقابلين في المجالس ليستانس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او اكرمناهم كذلك وزوجناهم بحور عين
على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف
في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص
شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون
على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل

عاقبة امرهم ومآلهم انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فيه

لا يذوقون

لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية
فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انا انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا
بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا المسمى
بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له
من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني
خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا
ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار
بها واما جعله خبرا بتقدير المضاف والابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع ما فيه من اعادة ما
تعدد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف
مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض فانهما منطويتان
من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله
تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون
المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة
على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ
آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث
من دابة آيات لقوم يوقنون اي من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على
اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل
الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية
من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعراها
عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال
وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي
الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الريح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد
كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع
على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم

ان والجار المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان والابتداء اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف
والنصب في آيات وتنكير آيات في المواضع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف العنوان لاختلاف مراتب الآيات في الدقة و
الجلا تلك آيات الله مبتدا وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال من عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله
بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اي نتلوها ملتبسين او ملتبسة بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله
وآياته اي بعد آياته وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما
نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون
بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك
وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان
شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار
على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من الآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل
وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت
بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع
الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها
كأن لم يسمعها اي كأنه لم يسمعها فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها
بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اي اذا بلغه من
آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان
يتشبث به الكافر ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الآيات كلها هزوا اي
سخرية لا بما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث لانه بمعنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث
الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة
توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون
الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص
من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاولاد والاموال شيئا من عذاب الله تعالى او
من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء
الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في
شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال
من الهداية كأنه نفسها والذين كفروا اي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع
حالهم لهم عذاب من رجز اي اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب
في المواضع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون لكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات

وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من السموات والارض او توكيد له منه متعلق
بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له او خبر لمحذوف
اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه
ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشأن كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم
يقفون بذلك على جلائلها ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه
جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين
لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله
تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل انها قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه
حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر
يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف
البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فقال ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن
كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما
قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون
سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلع الآية لا يلائم تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه
على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك
من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما
وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة
النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث
كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم
على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي
زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنه
هو العلم بمبعث النبي عليه السلام وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب
فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا
لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الامر اي امر الدين
فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له ارجع الى
دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء

بعض لا توالیهم ولا تتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من
توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر
الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شأنهم الايقان في الامور
ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين
حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق
انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل
بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم
عليه من مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة
ورفع الدرجات وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول
معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا
ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز
الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانها
في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان ما بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الحياة لان
المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة انما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم
الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه اخر من الاعراب
والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ والجملة بدل من الكاف او حال
وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم
بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة
تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات
حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون
العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسميته ذلك
ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة
الظلم الذي يستحيل صدوره منه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة
الهوى فكأنه عبده اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا
فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله
وتبديله لفطرة الله التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات
والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه
من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون

في الممات كما استووا

وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحياة الا حياتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وما بعدها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض وقد يجوز ان يريدوا التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا
غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر
الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واسناد الحياة والموت
الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء
يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث
بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان
متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل
الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب
وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم
ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيامة للجزاء
لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البداءة قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات
دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان منافيا للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم
لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص
الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله تعالى اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث
والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية
باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو
وعن ابن عباس رضي جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ
كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم
ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال حيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف
الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره هذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص
خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال
بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة
وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما
خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر
كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن
تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان
بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق

وإنه لا محالة أو مطابق للواقع والساعة التي هي أشهر ما وعده لا ريب فيها أي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم
إن وقراءة الرفع للعطف على محل إن واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة أي أي شيء هي استغرابا لها إن نظن إلا
ظنا أي ما نفعل إلا ظنا وحقيقته في قوله تعالى إن نتبع إلا ما يوحى إلي وقيل ما نعتقد إلا ظنا أي لا علما وقيل ما نحن إلا نظن ظنا وقيل معنى إن نظن إلا
ظنا ضعيفا ويؤيده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه فإن مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه
ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي إلا حياتنا الدنيا وبدا لهم أي ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة
المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها فإن جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا
أي كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
أي ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بأنكم بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزوا أي مهزوءا بها ولم
ترفعوا لها رأسا وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم أن لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها أي من النار وقرئ يخرجون
من الخروج والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب
إلى غيابة النار ولا هم يستعتبون أي يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه لفوات أوانه فلله الحمد خاصة
رب السموات والأرض رب العالمين فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربوبيته
تعالى لكل منها بطريق الأصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح بإضمار هو وله الكبرياء في السموات والأرض لظهور
آثارها وأحكامها فيهما وإظهارهما في موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في كل ما
قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف مكية وهي أربع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم
المفاعيل أي إلا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الأحوال من فاعل خلقنا أو من
مفعوله أي ما خلقناها في حال من الأحوال إلا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود
الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جليلة ما لا يخفى وأجل مسمى عطف
على الحق بتقدير مضاف أي وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه أمور الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل أحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما أنذروا معرضون
فإن ما أنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والأهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية
أي ما خلقنا الخلق إلا بالحق وتقدير الأجل الذي يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد
له قل توبيخا لهم وتبكيتا أرأيتم أخبروني وقرئ أرأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الأصنام أروني
تأكيد لأرأيتم ماذا خلقوا من الأرض بيان للإبهام في ماذا أم لهم شرك أي شركة مع الله تعالى في السموات أي
في خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء
بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وإن كان من الأحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني

بكتاب تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي أي ائتوني بكتاب إلهي كائن من قبل
هذا الكتاب أي القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت
عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة إن كنتم صادقين في دعواكم فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم
عليها برهان عقلي أو سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل
تبين بطلانها وقرئ إثارة بكسر الهمزة أي مناظرة فإنها تثير المعاني وأثرة أي شيء أوثرتم به وخصصتم من علم
مطوي عن غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء أما المكسورة فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة فهي المرة
من أثر الحديث أي رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب ومن أضل ممن يدعو من دون
الله من لا يستجيب له إنكار ونفي لأن يكون أحد يساوي المشركين في الضلال وإن كان سبك التركيب
لنفي الأضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع
القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة إلى يوم القيامة غاية لنفي الاستجابة
وهم عن دعائهم الضمير الأول للمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار
لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة
والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية وإذا حشر الناس عند قيام
القيامة كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيي
الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم ويبنى
إرجاع الضمائر وإسناد العداوة والكفر إليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل الضمير في كانوا
للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات أو مبينات
قال الذين كفروا للحق أي لأجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب
الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم أي بادئ أول ما جاءهم
من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين أي ظاهر كونه سحرا أم يقولون افتراه إضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة إلى حكاية ما هو أشنع منها وما في أم من الهمزة للإنكار التوبيخي المتضمن للتعجب أي بل أيقولون افترى القرآن
قل إن افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا إذ لا ريب في أنه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف
أجترئ على أن أفتري على الله كذبا وأعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه
من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي
بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع
كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أي ذا بدع وقد جوز ذلك
في القراءة الأولى أيضا على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه السلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة
فأمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم
بكل ما تسألون عنه من الغيوب فإن من قبلي من الرسل ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون
إلا بما أوحي إليهم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أي أي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا

من صنائعه وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة و
قال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة
والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات
الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين
هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي عم قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام أومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها في منامي وجوز
ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبري عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده
وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى
قصر افعاله عم على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ
يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عم من الغيوب وقيل عن استعجال
المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى
حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل أرأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء
الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به
لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم
فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد
شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله
تعالى واستكبار عنه او لا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم
الشأن من بني اسرائيل الواقفين على شؤونه تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القرآن من
المعاني المطوية في التورية المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه
في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها
بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة
على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله
صلعم بالمدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك
عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه
فقال صلعم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال
أرأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله

عليه الصلوة والسلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد
موسى وشهادته ما في التورية من بعثة النبي عليهما السلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام
فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم
عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم
واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن
هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم
بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة
في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قالوا للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به من القرآن
والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة
قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا
الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله
بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام
واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير
مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك
ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستأنفة وايا ما كان فهو راد
لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب
موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون
في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشأن مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع
الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق
وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب
عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هي بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور
الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي
دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين
اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي
يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات
العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا

ذا حسن او كانه في ذاته نفس حسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا
او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله
والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي
مستكمل مدة العمر مودٍ اذا انتهى امده ثلثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهو
دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب
والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه
التنكير للتفخيم او التكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها
نصلي قال ابن عباس رضه اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم
يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد
الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلعم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر
وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلعم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضه اني تبت اليك عما
لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى
الانسان والجمع لان المراد به الجنس الموصوف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك
المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب
عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن
على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل
والذي قال لوالديه عند دعوتهما اياه الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام
لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين والموصول
عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضه
قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين
وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ
اخرج من خرج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسألانه ان يغيثه
بالتوفيق للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على
الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على
خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق فيقول ما هذا الذي تسميانه

وعدا الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه
المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ
عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد تقدم تفصيله في سورة الم السجدة انهم كانوا خاسرين
قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل بطريق الاستيناف
التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا اي مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات
غالبة في المثوبة وايرادها هاهنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون
بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام
متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب
درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على
السيف اي قتلوا او قيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب
للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من
حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون
اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم
تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين
واذكر اي لكفار مكة اخا عاد هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون
بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع
نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب
الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم
في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عم انذرهم قائلا لا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو انذاره فمع ما فيه من التكلف تعقيد الاعلام لا يرى في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا
اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في
وعدك من نزوله بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده
لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به
من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله
وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان
بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع
الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم
اي متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا صفتين للنكرة

بل هو اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب
ريح بدل من ما او هو خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم
بامر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا
واردا لبيان ان لكل ممكن فنا مقضيا منوطا بامر بارئه ويكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم
الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية
تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين
وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى
كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا
انه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم و
اغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم
انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عم لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضه اعتزل هود عم ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود
وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررنا عادا او اقدرناهم
وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول
الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع
ان ههنا التفصي عن تكرار لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما يأباه المقام وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا
بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ
الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات الله
وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك
اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا
عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد
مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين
اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود
لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له
لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا

عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع
نصر الغائب عن المنصور وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة
شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة الى الاتخاذ اي
وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين
وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب
وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك
مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترونه من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا
بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما
بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك
نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن [illegible] فلما حضروه
اي القرآن عند تلاوته قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته
وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عم وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عم ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم
عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا
الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله عم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا
لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله عم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف
اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال عم اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله
بن مسعود رضه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود
اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عم وغشيته اسودة كثيرة
حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله عم هل رأيت شيئا
قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة
التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضه ان الجن لم تكن سمعت امر عيسى مصدقا
لما بين يديه ارادوا به التورية يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع
والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة
الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان
حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان
في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان
لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله

من غير انتقاص باحد النصرين للمبالغة في الايجاب بزيادة النفي وبرتبته وادخال الزوجة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض
للتوسيع الدائرة اي فليس بمخلصه منه بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه
اولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون
من مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون
بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه
اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما
متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم
ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه
وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي
الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل أليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله
تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا
على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله أليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث
هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الانعام
وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى
وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا ومعنى الامر الاهانة والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما
صبر اولو العزم والثبات والجد من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي
العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد ولده والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب
على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدونه من شدة العذاب
وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه
قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ
بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا [illegible]

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وقيل مكية وهي تسع وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن

ذلك من صد صدا المطعمون يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام و
يأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام
في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان
لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقري الاضياف وفك الاسارى
وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيله بنصر
رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى [illegible]
والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل
وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين
سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته
بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق
وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل
الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات
واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك
كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه
للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا
الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه
لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ
ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله
واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد اخص منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر
بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال
الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها
في الموضعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال
الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين
الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامور على ما قبلها فان ضلال
اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به
من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل
تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم و
والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون

بعد ذلك منًّا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رح
وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم منٌّ
ولا فداء انما هو الاسلام وضرب العنق وقرئ فدًا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها
التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية
عند الشافعي رح لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين
حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم واما عند الحنفية فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية
للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى
انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشاء ذلك ليبلوا بعضكم ببعض فامركم
بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم
ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي
جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم
من ضل وعن قتادة انها نزلت يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب او
سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها وبينها لهم
بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم
محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله
ينصركم على اعدائكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا
لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب
حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في خبر الجزئية للموصول
ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد
وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي كانوا
عملوها مع الايمان لا يثابوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني
على سؤال نشأ من الاحكام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم
امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلة
لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا
بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد
بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع المضمر كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة

الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان
وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما يحل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل
الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو ويأكلون او استئناف
وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة
من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنها المضاف واجري
احكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين
كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك
لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقه
قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم
خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء ليست للترتيب ذكرا على
ذكرا بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي الفريقين المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة
عن النبي عم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عم وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقرير الا
كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات
والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك
التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن
حجة تدل عليها وجمع الضمير في الآخرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون
استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير اليها بانها تجري من
تحتها وتعبير عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات
باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل
زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الخ من ماء غير
آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان يصار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث
لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انه صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين
وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر
من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى

من انهم منقطع محذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم كمن
هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة بحسب ما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق
به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة
كمثل من هو خالد في النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع
اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة
رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من
قولهم انف الشي لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استانف الشي وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا
او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا
واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا اي الى طريق الحق زادهم اي الله هدى
بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة
اي القيمة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي للمفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر
احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة
بغتة وقرئ ان تاتهم بفتح الهمزة وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور
الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي
اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عم وانشقاق
القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطاهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع
التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي فكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم
مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجي عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع
التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم
الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان
مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عم من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا
الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عم الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين
والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض لهم على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف
متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار
والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا ياخذكم الا بما
هو خير لكم فيها فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شي منها ويقول
الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة

محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة
ذكر فيها القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر على اسناد الفعل الى ضمير الله تعالى ونصب القتال
رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم
وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو فعلى من آل
واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستانف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند
العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوا الله
تعالى فيما قالوا من الكلام المنبي عن الحرص على الجهاد وجروا على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من
قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطات قلوبهم في ذلك السنتهم لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع
اي فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك
وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة
عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون بشانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت
اعنتكم وصرتم امراء ما ذكر من الفساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من
الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه
ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لابد ان يكون مما يترتب عليه باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا
ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد
وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جورة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد
وقطيعة الرحم وقرئ تقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ
تقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة
الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة
لغيرهم وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى
ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي ألا يلاحظونه
ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل
اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر
والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب
منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال
اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على
المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب
وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم

تلوين للخطاب وتوجيه له الى الذين في قلوبهم مرض بطريق الالتفات

اليهود وقيل اهل الكتاب من حيث انهم وآباءهم بعد ما وجدوا النعته في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان
سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر ان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف
من السؤال لاستمرار القلب بمعنى سول له اغراه او حمله في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف
اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان
الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في
عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا
منها ليس مسببا عن القول الآتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين
به من بعد ما وجدوا النعته في التورية كما قيل فانه كما ترى ام بسبب هذا القول وكونه [illegible] صدور ذلك عنهم سواء كان
المقول لهم المنافقين او المشركين على رأي القائل بل حين بعثته ام للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن
على رسول الله صلعم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في
بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم
وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من
ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما ينبئ عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم
لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء
والتوبيخ والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها
وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف
يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم
وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم
او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضه لا يتوفى احد على معصيته الا يضرب
الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي
وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة بعد الايمان وهو جواع الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود
فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها
حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة
وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار ما نعى عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد
وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلعم وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة وبل المعنى ان ذلك
مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة
للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالارائة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضه
ما خفي على رسول الله صلعم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول [illegible]

تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام
لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الارادة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب
قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم
بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء
ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ وليبلونكم بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن
نبلوا ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى
بما شاهدوا نعته عم في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير والمطعمون
يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله شيئا
وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكائدهم التي نصبوها في ابطال
دينه تعالى ومشاقة رسوله فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق
والعجب والرياء والمن والاذى ونحو ذلك وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله
في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء
الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا
الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل مفيدة لمجرد صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه
عليه ومنه قوله تعالى ثم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى
وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم
الاعلين وكونه عز وعلا ناصرا من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لاجور الاعمال
حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد فعبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة
شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف
بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله
تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها
وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون
ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها وهو ربع العشر تؤدونه الى فقرائكم ان
يسألكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي
استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه
سبب الاضغان وقرئ تخرج من خرج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي

ها انتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقيق من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يأمركم به لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اي وان تتولوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلفون مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له صلى الله عليه وسلم في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه صلى الله عليه وسلم حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي رضي الله عنه نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر فظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل جاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له صلى الله عليه وسلم من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له صلى الله عليه وسلم من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه صلى الله عليه وسلم في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية

ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف على ما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له

علي طريق التخيل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث علي نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود
ضرر نكثه علي نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفي بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقي بعد حذف الواو وتوسلا به
الي تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفي بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادة المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقلوا
عن الخروج وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم بانهم سيعتلون
ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغّلتنا بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما
ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم
اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشية الله تعالى وقضائه علي شيء
من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضر عنهما
وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر علي شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي
حاجة الي التخلف لاجل القيام بحفظها وهذا تعريض للجواب ورد لهم بموجب مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما
يتوقع علي تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما
قالوا وبيان لكذبه بل بيان فساده علي تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون
من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام
اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الي اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم
معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع علي
اهلات كارضات علي تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الي اهلهم وزين
ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين علي البناء للفاعل باسناده
الي الله تعالى او الي الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء
او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر
من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه علي انه جمع بائر كعائذ
وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك
وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره
وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة

في استغفاره عم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته
ممن يؤمن به وبرسوله واما ما عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون
وقوله تعالى اذا انطلقتم الي مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الي مغانم
خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الي خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون
ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام
بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله
عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا
معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال
الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله
بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما
قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في
امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الي قوم اولي باس شديد
هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي
يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي
بالاسلام وفيه دليل علي امامة ابي بكر رضه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك
كان في عهد النبوة فيحصل وام نفي الاتباع بانه في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس
علي الاعمى حرج ولا علي الاعرج حرج ولا علي المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور
علي الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع
الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن
يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر
شان مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة
المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عم لما نزل الحديبية بعث
جواس بن امية الخزاعي رسولا الي اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه لم يات
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت
لاطوف قبل ان يطوف رسول الله قبل ان يطوف رسول الله عم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عم
لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الي البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة علي ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي علي الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله عم انتم اليوم خير اهل الارض
وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف علي يبايعونك
لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا علي رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب علي علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص

عند مبايعتهم له عم وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل
بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر عقيب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة تاخذونها اي مغانم خيبر
والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا اي غالبا
حكيما وراعيا مقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة تاخذونها
في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح و
لتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول عم في وعده اياهم عند رجوعه عن الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة
ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق
عليه اي محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذا وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول
اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون
وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين
ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى
لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى
واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بفعل يفسره قد احاط الله بها اي وقضى
الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية
لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار لانهزموا ثم لا
يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة
قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار اهل
مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله عم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح
وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وضمهم اولا والكف
عنهم ثانيا لتعظيم بيت الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر
الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال
من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة
على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك
نحرت هداياه عم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال
منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة
بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء مقالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا

عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه
والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله
تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما دل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف
المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية
التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة
لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية
وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض
التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بصدهم وهو احسن الله
الحكم واياما فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء وقوله تعالى في
قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة
في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عم والمؤمنين بتوفيق
الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الخ
وعلى الثالث على المضمر تفسيره والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله عم لما نزل الحديبية بعث قريش
سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلعم ان يرجع من عامه ذلك
على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا
لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال
صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا
والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد
والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد
استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستاهل لها وكان
الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله عم قبل خروجه
الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا
وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما
حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة
وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين
الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم

بالواو وهو على الامثال وقوله تعالى في التوراة حال من ضميرهم في الاشارة وقوله ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول بحذف الواو الثانية وتكرير مثلهم للتاكيد غاية ونهاية وزيادة تقرير لها وقوله كزرع اي هم كزرع اي شطأه الا تمثيل مستانف اي هم كزرع اي هذه صفته وقيل هو تفسير للكاف على انه اشارة مبهمة وقيل جر لقوله ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله مثلهم في التوراة وقوله ومثلهم في الانجيل كزرع اي شطأه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وسكونه بقلبها واوا فآزره اقوى شطأه من الوزار بمعنى المعاونة آزر الابزار وهي الاعانة وآزي فآزره بالتخفيف آزره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ اصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على اصوله جمع ساق وزني سوقه بالهمزة يجب الزنا بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى لاصحابه عم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا وقووا مثل هم يوما فيوما كما يحب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله ليغيظ بهم الكفار علة ما يهب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكانه واستحكامه او لما بعده من قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين من الاجر مع ما لهم في الدنيا من الالهة غاظهم ذلك اشد غيظ وفيه دليل على ان من اجتمع فيه ما فيهم من الايمان والعمل الصالح فهو داخل تحت الوعد ومن نقص منه شيء من ذلك نقص من حظه بقدره

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا نصدير الكتاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما فيه جدير ان يعتنى به وان يبادر الى امتثاله ووعظا لهم بلطيفه وبراعاة ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه وما فيه من الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقدم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول ابلغ في حسن المقام لانه النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب للانتهاء بكافة بفضوله بالطريق البرهاني وقد يجوز ان يكون التقدم بمعنى التقدم وتعديته بعلى لتضمنه معنى الجناية المتعدية بها ومفعوله قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدم وقوله بين يدي الله ورسوله مثل لما بين المجلتين المتسابقتين لمبدي الانسان بخلاف ما هو اعنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل لا تقدموا بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى للتعظيم والايذان بجلالة محله عنده وقيل نزل في ناس ذبحوا قبل العيد فامرهم ان يعيدوا وقيل في ناس رفعوا اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فيما روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ لا ترفعوا اصواتكم وقرئ لا ترفعن اصواتهن وما تفرعون من الافعال والاصالة التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن الجفاء وزجر عن كيفيته القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن القبائح وزجر عن نفس القول والفعل عادة النداء مع ترك العهدة للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الخلال المنهي عنها باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا ترفعوا اصواتكم وارادة صوته وقرئ لا ترفعوا اصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا بالقول اذا كلمتموه جهرا بعضكم لبعض اي جهرا كما يجهر الجاري منا بينكم بل اخفضوا اصواتكم اخفض من صوته ام وتعهدوا في مخاطبته اللين الذي يجب من الهيبة كما هو الواجب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة الحجة النبوة وجلالة مقدارها وقيل لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار واخا السرار حتى القى الله تعالى

محذوف اي والله لئن خلن الى قوله فانه ان شاء الله تشبيق للعدة بالنية لتغليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يفون بها وقوله لاموت او غيبة او غير ذلك او بحبس حمالة فانه مكث الانبياء رسول الله ص اما فاله ص لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وانما اخرج قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اي بعضكم او بعضا الا تخافون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين لتدخلن مقدرة لان الخائفون حال وقعت والمعنى لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او مستبشرين اي لا تخافون بعد ذلك صلحا ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الحاصل للشاهد بالمشاهدة على ما يعرف به ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من حكمة التاخير الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فضلا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون حكم من مصدر اي ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الها فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بصدقه وعده والجائزة من غير مستوفيه ليستدل به على صدق الرؤيا جميعا فقال والمعنى آمنين واما حاصل ما في قوله تع ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة بانه فتح مكة الى المستقبل فجعل اشارة الى ان المتقدم على ارادة الرؤيا هو الفتح الذي ارسل رسوله بالهدى اي بما يتبعه به او بسببه او الحجة ودين الحق وبين الاسلام لتظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بحيث ما كان حقا منها كان حقا من بعض الاحكام المنسوخة بما يقابله وما كان باطلا كان باطلا او ليبطل به المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد خذلهم المسلمون وغلبوهم وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته ومع لهم من الكفرة على الاتي ليه ما سيفعلون فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته بما اظهر المعجزات محمد خبر مبتدا محذوف وقوله ص رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تع والذين معه مبتدا خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم والاشارة الى جميع المؤمنين او الى المهاجرين والانصار والذين معه هم الصحابة رض الله عنهم اجمعين وفضلهم الله تعالى بالصحبة وشرفهم بالثناء عليهم في القرآن العظيم وفي الحديث لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقوله تع تراهم ركعا سجدا الى قوله سيماهم في وجوههم حال من الضمير في معه لوقوعه صلة لما يخبر به وقوله تع تراهم ركعا سجدا الى قوله راكعين ساجدين لما طبعهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استيناف وقوله تع يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما حاصل ما في الحالين من صيغة المستقبل فللدلالة على استمرار ذلك سيماهم اي علامتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيما بالقصر وهو مبتدا خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تع من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي حاصل من اثر السجود وهو اثر كزبة السجود وما روي عن النبي صلعم لا تغلبوا صوركم اي لا تشمونها اما بوضعها على الارض للسجود فبناء على ان السجود محض رياء ونفاق والكلام في جبهة السجاد الذي يسجد لا خالصا لوجه الله تعالى وكان الامام زين العابدين علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم يقال لها ذو الثفنات لما حدث كزة سجوده في مواضع منها اشباه ثفنات البعير قال فما ظنكم بدار على وجهه وكزه السجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تع وقيل هي الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال صلعم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود وهي اثر السجود وبكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تع مثلهم اي وصفهم العجيب الشان جاري مجرى الامثال وقوله تع في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تع ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول بحذف الواو الثانية وتكرير مثلهم للتاكيد غاية ونهاية وزيادة تقرير لها وقوله تع كزرع اي شطأه الا تمثيل مستانف اي هم كزرع اي هذه صفته وقيل هو تفسير للكاف على انه اشارة مبهمة وقيل جر لقوله تع ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله مثلهم في التوراة وقوله تع ومثلهم في الانجيل كزرع اي شطأه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وسكونه بقلبها واوا فآزره اقوى شطأه من الوزار بمعنى المعاونة آزر الابزار وهي الاعانة وآزي فآزره بالتخفيف آزره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ اصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على اصوله جمع ساق وزني سوقه بالهمزة يجب الزنا بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تع لاصحابه ص قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا وقووا هم يوما فيوما كما يحب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تع ليغيظ بهم الكفار علة ما يهب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكانه واستحكامه او لما بعده من قوله تع وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين من الاجر مع ما لهم في الدنيا من الالهة غاظهم ذلك اشد غيظ وفيه دليل على ان من اجتمع فيه ما فيهم من الايمان والعمل الصالح فهو داخل تحت الوعد ومن نقص منه شيء من ذلك نقص من حظه بقدره

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا تصدير الكتاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما فيه جدير ان يعتنى به وان يبادر الى امتثاله ووعظا لهم بلطيفه وبراعاة ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه وما فيه من الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقدم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول ابلغ في حسن المقام لانه النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب للانتهاء بكافة بفضوله بالطريق البرهاني وقد يجوز ان يكون التقدم بمعنى التقدم وتعديته بعلى لتضمنه معنى الجناية المتعدية بها ومفعوله قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدم وقوله بين يدي الله ورسوله مثل لما بين المجلتين المتسابقتين لمبدي الانسان بخلاف ما هو اعنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل لا تقدموا بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى للتعظيم والايذان بجلالة محله عنده وقيل نزل في ناس ذبحوا قبل العيد فامرهم ان يعيدوا وقيل في ناس رفعوا اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فيما روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ لا ترفعوا اصواتكم وقرئ لا ترفعن اصواتهن وما تفرعون من الافعال والاصالة التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن الجفاء وزجر عن كيفيته القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن القبائح وزجر عن نفس القول والفعل عادة النداء مع ترك العهدة للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الخلال المنهي عنها باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا ترفعوا اصواتكم وارادة صوته وقرئ لا ترفعوا اصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا بالقول اذا كلمتموه جهرا بعضكم لبعض اي جهرا كما يجهر الجاري منا بينكم بل اخفضوا اصواتكم اخفض من صوته ام وتعهدوا في مخاطبته اللين الذي يجب من الهيبة كما هو الواجب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة الحجة النبوة وجلالة مقدارها وقيل لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار واخا السرار حتى القى الله تعالى

وعن عمر رضه انه كان يكلمه عم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضه اذا قدم على رسول الله عم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم
كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عم قوله تعم ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لأن تحبط او اخشية ان تحبط او
كراهة ان تحبط كما في قوله تعم يبين الله لكم ان تضلوا اي لأن تضلوا واللام في الاجل لحبوط فان الحبط حيث كان بضد الادآء لا الحبوط
حكاية عن الاجل على طريقة التمثيل كقوله تعم ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بالنهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة
فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعتاد قوله تعم كجهر بعضكم
لبعض حالا ان رفع الصوت فوق صوته عم ما كان منكرا يجهر الم يفيد بشيء ولا ما يقع منهم في حرب او مجادلة معاندا
او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضه نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وربما كان يكلم رسول الله عم فيتأذى بصوته وعن انس رضه انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عم
فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملي قد حبط فقال له صلعم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى
عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوت النبي عم فقد قيل محمله ان
نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها
وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله لما نزل بحث في الانتهاء عما نهوا عنه
عند الله عقيب عن الاخلال به اي يخفضونها اعانة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار الصفة بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه
وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها
فان الامتحان سبب للمعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
وميزه من خبثه وعن عمر رضه اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره
والجملة اما خبر ثان لان او لاولئك والجملة للمصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء
حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها او من خلفها او قدامها ومن
ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى
بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة
وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عم من ورائها او
بانهم تفرقوا على الحجرات منتظرين له عم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقد يجوز ان يكونوا نادوه من وراء الحجرة التي كان عم فيها ولكنها جمعت اجلالا له عم وقيل ان الذي ناداه عيينة
بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا
يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقيق والثبوت للفرق البين

بين ذلك يلغى قيام ان وبلوغ انك فانهم حتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عم فانها مختصة بما
هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى
فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر
المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله
غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان من
لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع
وقال لرسول الله عم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ تعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق
المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم
في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من قوله تعم لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها
او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عم رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد
والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله عم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عم لم يطع رأيهم
واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما
انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا
من طاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار
امتناع طاعته عم لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر
قوله تعم ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق
بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر
تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه من الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجددة
وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان
فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد موادها الكثيرة التي ينبئ عنها قوله تعم في كثير
من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى
لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت
من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد
الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة

انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باعتبار الوجهين المذكورين
حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت فما اعلم ان الاحق بالاعتبار والاولى
بالاعتبار هو الوجه الاول لانه ادخل للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار بحسب ورود كلمة لو المفيدة للامتناع
على صيغة المضارع المفيدة للتجدد على ان اعتبار الاستمرار وارد على النحو على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر
الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد فائدة كما في مثل قوله تعالى والانعم يانون حيث يحمل على الاستمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في
نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع رعاية موجب القياس فمع الانتظام فالعدول عنه تحمل لا يخفى
وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف
الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا اليكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من
الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في
التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين
كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق نبي المصطفى من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول
هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات في الجملة
كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل
لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم
فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى
ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اي رجعت
عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون
بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك
حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية
نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي
عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح
والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل
واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح وتخصيص الاثنين بالذكر لبيان
الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا
الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا
على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال
لانهم القوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع
واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع

والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء
من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط
الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي يدور عليها امر السخرية غالبا
بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله
تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس
واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ ولا تلمزوا ولا تنابزوا
بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به غالبا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي
ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله يوما فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح
كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء
بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر
الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى
يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله عليه السلام عن الغيبة فقال
ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه
بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات في فنون شتى الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل
الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا الآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا
بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل
كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه
والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب
كمن لا ذنب له ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة

بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال صلى الله عليه وسلم
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل
سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة من الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع
البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي
الى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتعارفوا على الادغام ولتتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام على طريق الاستئناف التحقيقي
كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان كان ثم تفاخر فليكن بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل
لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى
فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس
انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى
ان الله عليم بكم واعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه ما فعلوه قل لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة
وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم علي ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام
انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا
آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم
والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم
لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق
لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهي لغة
اسد او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم
ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الاتيان به فقط بل وفيما
يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على
تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك هم الصادقون
بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤوا
وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه به بقولكم آمنا والتعبير عنه
بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم
وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند

اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي
لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي
اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر
عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسماه اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو
صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي
لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل
والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به
بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوجب شيء بالقبول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل
التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك
والرد بل قاموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل الاضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجد كانه قيل ليس
سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان
لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار
بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا
اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان
بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل
من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واحق بكونه كفرا ائذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل
في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به
مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع
رجع بعيد اي عن الافهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ
عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى
انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء
كما كانوا روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها

بعلم من عنده كتاب حفيظ تبلغ منه كل شيء او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من
بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم
من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار
بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وانه مجنون
أفلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها
بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظم بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب
وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من
رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل
الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه
متفكر في بدائع صنائعه ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر
من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به
اي بذلك الماء جنات كثيرة اي اشجارا ذات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من
البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها
بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها و
امتيازها من البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض
والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها
في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله
تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان
يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر
من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها
ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة
بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من
الاحياء وما فيه من البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل ذلك الحيوة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها
وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حيوة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث
وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب
منكريها واصحاب الرس قبلهم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود و
عاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة
هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما

ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب
جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على عدمها وهو الاظهر
فمعنى تكذيبه قومه الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد
اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر
لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعيي به اذا لم
يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول
فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانهم قيل هم غير منكرين
لقدرتنا على الخلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات او الايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه
وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء
للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي
العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان
منصوب باذكر او بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان
من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى
عليهما وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفها يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك
مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان
مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي
من الله ولا منهما وقد جوزوا ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا
ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول
ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان
كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما
معا على ما صدر عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيأ للكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان
وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل
انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يساره وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل
سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت
بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة

عليهم اشتغ ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يترتب عليه من الاحوال والاهوال وفيه تحذير وفرع كل منها
بصيغة الماضي ايذانا بتحققها ونهاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة للعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول
بخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل
الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او الملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة
والغاية الجميلة وقيل سكرة الحق بالموت والمعنى انها سكرة الحق التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لتذهب بالعقل او
الروح او تستتبعه وقيل الباء للمعية وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور يعني
النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع
الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل
على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس
من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا
اي ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية
من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل قوله تعالى لقد
كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه
قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة من هذا والخطاب لكل نفس لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة
وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس وكذا الضمائر على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما
في قول جبلة بن حريث ... يا نفس انك باللذات مسرور ... فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي
وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما هو من كتاب عمله هذا
مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد
خبر او خبر لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم
عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين
بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله
الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير
للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت استئناف
الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه منبئ عن سابقة
كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة

العطف

العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو
بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار
الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل
للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء زائدة او معدية على ان
قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف
هو حال من المفعول او الفاعل وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا
ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله
وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق ليس على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد
ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك عنهم من الجنايات الطلع مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم
على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة
في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم
هل امتلأت فتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها
تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها
لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب
باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من
الاحوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب
وقد تقدم تقديم حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف
ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي
مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر
الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة لما ان ما
هو المسمى من حيث هو لا بال لفظ بل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير
الخبر وقيل اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه او
مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب
اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر
منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل

فيقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض بعنوان الرحمانية للاشعار
بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وانهم عاملون بموجب قوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى
وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له لهم ما يشاؤن
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته
ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي فخرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها
وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء
للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب ويجوز ان يكون عاطفة على المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من
محيص اي هل لهم من محيص من امر الله والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو فنقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص
او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل
ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويعضده انه
قرئ فنقبوا على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم
او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي
قلب يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع
عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر
فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله وهو شهيد
اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه
عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا
من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى
بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل
هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك
اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه بما يوجب
التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقتا الفجر والعصر وقد عرفت فضيلتهما
ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة
اذا انقضت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب
الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك

من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي اي اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة و
الشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل
نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة
ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم الخ وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل
في الظرف ما دل عليه قوله ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من
القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا
ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتنشق على البناء للمفعول
من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور للتخصيص
اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار
بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت منذر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل
بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي عم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وهي ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحب الحاملة
للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية
في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا
ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها
ارزاق العباد وقد يجوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما
تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطة له وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت
الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال
القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري باسطة له الى
ما امرت به فتقسم المطر وقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة
بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن
قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين
الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال
سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق
والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق او عن حسن حبكها
بحيث شبهها بما يزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ
الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل
انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عم تارة شاعر وتارة ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة
شعر وتارة اساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة

لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل الحبك في القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها
واختلاف غاياتها وليس ذلك تحققا يؤفك عنه من افك اي يصرف عنه الضمير للقرآن او الرسول من صرف اذ لا صرف افظع
واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك
القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله
قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم اجري مجرى اللعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم
اصحاب القول المختلف كانه قيل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون
غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال
استهزاء به وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون
ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يوم هم والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ
بالرفع هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم به تستعجلون
به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات
وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم
حسن مرضي متلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما
ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف
او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما زائدة في الوجهين ويجوز ان تكون موصوفة او موصولة وتفسيره بقليلا على
الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل
الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل
قليلا بل يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم
حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي
يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل
من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل
وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما
انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع
المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب
رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة
في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره قوله فورب السماء والارض انه

لحق على ان الضمير لما واما على الاول فحاله واما لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم
تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن
في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت
عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده انه قرئ بالرفع هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله عم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل
وملك آخر معهما عم وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه
كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث
او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابراهيم سلام
اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين
وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من
الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه
خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات
الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذارا
من ان يكفه او يعذره ويصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة
الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به
فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تأكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم خيفة اضمر في نفسه
خيفة لتوهمه انهم جاءوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب قالوا لا تخف وقيل مسح جبريل ام العجل
بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بوساطتهم بغلام
هو اسحق عم عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان اول اقبلت باخذت كما يقال اقبل
يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء ولما اعتادته جرت عادة النسوة وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها
كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما
نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي
ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع سارة
فقط بل مع ابراهيم عم ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر سارة اكتفاء بما ذكر
ههنا في سورة هود قال اي ابراهيم عم لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى
البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا
عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من سومت الماشية
اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد
في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم

اي نصيباً وافراً من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم المحكية وهي مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب
وهو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب
وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذاباً عظيماً كما ان الفاء
الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل
يوم القيمة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عم كلام الله عز وجل وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام
فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح
او يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار
بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور
اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس اذ روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة
نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع لنازل حتماً جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة
لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها
امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره
التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته
والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها
تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين
بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي
اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ وقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب
في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعاً اي يدفعون اليها دفعاً عنيفاً شديداً
بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاً حالاً
بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا
يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ
ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على
زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها
وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب

ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر
وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات
ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه
الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على ما آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان
او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب
في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا
او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف
الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق
او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن لما ان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين
آمنوا الآية كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم
في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله بايمان متعلق
بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان
الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وقرئ ذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا الآية وما ألتناهم وما نقصناهم الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شيء
بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ ألتناهم
بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت
يولت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين
آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف
على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم
ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية
كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول
والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب
راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن قضيته ان
لا ينقص من ثوابه شيء بتعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادي
التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم
بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها
اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن
الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك

مخصوصون بهم وقيل هم أولاد من سبقهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه
لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده إن فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلعم إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه
ألف ببابه لبيك لبيك وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي يسأل كل بعض سائلا ومسؤولا إلا أنه يسأل بعض
معين منهم بعضا آخر معينا قالوا أي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة إنا كنا قبل أي في الدنيا في أهلنا
مشفقين أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق
للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد إنا كنا من
قبل من قبل ذلك نعبده أو نسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب
وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه فذكر فاثبت على التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث
بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل فما أنت بنعمة ربك بحمده تعالى وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن
ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون هو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع أي بل يقولون نتربص به
نوائب الدهر قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة بإهلاكهم أم تأمرهم
أحلامهم أي عقولهم بهذا أي بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الأمور والمجنون مغطى
عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجاز
عن أدائها إليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون
من الأكاذيب ما هو خارج عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم أم يقولون تقوله أي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل التي لا تخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلعم إلا واحد من العرب
فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها
من حيث النظم ومن حيث المعنى إن كانوا صادقين فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان
بمثله بقضية مشاركتهم له صلعم في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب
النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي
الأمر بذلك أم خلقوا من غير شيء أي أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم
خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء أم هم الخالقون لأنفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه أم خلقوا السموات
والأرض بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما
قالوا وإلا لما صدوا عن عبادته أم عندهم خزائن ربك أي خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت حكمته اختياره
أم هم المسيطرون أي الغالبون على الأمور يدبرونها كيف شاؤوا وقرئ بالسين ... وبينوا الأمور على
إرادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون فيه
صاعدين إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فيقولون فيه رجما بالغيب ويعلقون بها
أطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون تسفيه
لهم وتركيك لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار

الغيبة والالتفات فيه الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ أم تسألهم أجرا رجوع إلى خطابه صلعم والإعراض عنهم
بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم لأجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك
أم عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو إثبات أم يريدون
كيدا هو كيدهم برسول الله صلعم في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من
الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا هم المكيدون أي هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وبال الأمر
أراد وإن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان
الله عما يشركون أي عن إشراكهم أو عن شركة ما يشركونه وإن يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط
طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا
وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون بفتح الياء وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل
إذ لا يصعق بها إلا من كان حيا حينئذ وقرئ يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا أي شيئا من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى
أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه وصنعوه من
الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه
مع ما يأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم وإن للذين ظلموا أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر أي وإن لهؤلاء
الظلمة عذابا دون ذلك دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين أو وراءه كما في قوله
تريك القذى من دونها وهي دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا
ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عنادا أو لا يعلمون شيئا
أصلا واصبر لحكم ربك بإمهالهم وإبقائك فيما بينهم إلى يومهم الموعود والقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة
الهموم فإنك بأعيننا أي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء
بالحفظ وسبح أي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم أي من أي مكان قمت قال
سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضه معناه
صل حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك وتبارك اسمك وتعالى
جدك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه
على الفعل وإدبار النجوم أي وقت إدبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين
وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرئ وأدبار النجوم بالفتح أي في أعقابها إذا غربت أو خفيت عن النبي صلعم من قرأ سورة
الطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي احدى وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا
بوزن قبول إذا غرب وهويا بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في إذا فعل القسم فإنه
بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك إذا احمر البسر هي الأقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة

الضلال والغواية من البراعة البديعية وحسن الموقع بالاعانة وارادة اما الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدي به الساري الى مسالك
الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة
وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثاني
فلان فيه تنويها بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيها على مناط اهتدائه عم ومدار رشاده كانه
قيل والقرآن الذي هو علم الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده
عم بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه
بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت
الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب
ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من هوي جبريل من الافق
الاعلى ودنوه عليه السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض
النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب وما ينطق
عن الهوى اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق
كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار
التجددي علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عم فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة
قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة
فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة
في عقله ودينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام
على صورته التي خلقه الله عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله عم احب
ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله عم فنزل جبريل عم في
صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء غير محمد مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل
استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنى
اي اراد الدنو من النبي عم فتدلى اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي عم يقال تدلت الثمرة
ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدار
قابين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل كان جبرائيل عم كما هو مقعد الازار او ادنى اي على
تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى
اي جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من
الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى بواسطة جبريل ما اوحى الله تعالى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى
تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عم ما رأى اي ما رآه ببصره من صورة جبريل عم
اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عم عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب
اي صدقه ولم يشك انه جبريل عم افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او بعدما
ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهي الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلا

من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة يعدى بعلى كما يقال
غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده ولقد رآه نزلة اخرى اي وبالله لقد رأى جبريل
في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو المرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند
سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من
اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء
او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح
الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها ينتهي العلوم
او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال الله تعالى الى ربك المنتهى
عندها جنة المأوى اي الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية وقيل الحسن ان يكون الحال
هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده
من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي
او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين اي ياتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف
ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار
الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور
الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث
لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس رضه وابن مسعود رضه وروي
عن النبي عم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عم
يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله عم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور
المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأري
من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف
اي شيئا عظيما من آيات ربه الكبرى وان يكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي
اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السويق بالزيت ويطعم الحاج وقيل
كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله عم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول
فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة

وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون الاولية والتقدم
عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية
على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب
ما سمعتم من آثار كمال عظمته تعالى في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى
وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وكمال ذلتها وقيل المعنى أرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها
شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في
الآية السابقة وقيل أظننتم هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم انه تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم
الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ألكم الذكر وله الانثى
فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول حيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم المذكور وجب ان يكون
مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وحاصله ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة
من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول
لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى
لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي
اقتصار التوبيخ على ما بينهم بتفضيل جانب انفسهم على جناب الله تعالى من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة
الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى على
انه مصدر وصف به كذكرى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها
الا اسماء محضة ليس تحتها مما ينبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة للاسماء وضميرها لها لا للاصنام
والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء لان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فمعناها جعلها مسمى للاسم وانما اختير
ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات
قطعا كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء
الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام
فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم
الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات من الخطاب الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم
اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا توهم ان ما هم عليه حق توهما
باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه الانفس فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا ظن انفسهم الامارة بالسوء ولقد
جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى

النفس وزيادة تقبيح حالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول وانزال الكتاب
اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم
الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من
الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى
تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر
من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا بها اطماعهم من شفاعة
الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة
المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئا من
الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه
اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى ومن الشفاعة بالف معزل
فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها
من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمونه
كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي
تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث
لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما
يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي
جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف
القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين
والآخرين المذكر للامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها
والمرهوب عنها ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض
عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة اليه الا عنادا واصرارا
على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون
يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها
والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا
وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة
التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شأنه
الاهتداء في الجملة اي هو البالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك
في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وقيل تعليل الامر بالاعراض عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين عليه مع رمز
الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما ينبئ عنه قوله تعالى ولله ما في السموات

وما في الارض اي خلقا وملكا لا يعزه اضلالا واستقلالا والاشتراكا وقوله تع ليجزي الذين متعلق بما دل عليه اعلم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبلها فان كون الكل مخلوقا له تع مما يترتب عليه باعلمية الا يعلم من خلق فكانه قيل فيعلم ضلال من ضل
واهتداء من اهتدى ويحفظها ليجزي الذين اساؤا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا
لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب الاعمال الحسنى
وقيل متعلق بما دل عليه قوله تع ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي اه وقيل متعلق بضل
واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل سبيله اه الى ان يجزيه الله تع بعمله وبمن اهتدى ليؤول الامر
الى ان يجزيه بحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين
يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب
واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد
بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس والشرك والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما
قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب
لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه
عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تع ولا يتوهم
وجوب العقاب عليه تع وهو اعلم بكم باحوالكم يعلمها اذ انشأكم اي انشأ اباكم آدم ء من الارض انشاء اجماليا حسبما
تحققته مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم
وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء
في قوله تع فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم
كونه من قبيل الذنوب بل لكونه محض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة
عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تع على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي
جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون
صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة
من الله تع وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرأيت
الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يتبع رسول الله صلعم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان
يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي
كان ربما يوافق النبي صلعم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلعم في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد
صلعم الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تع واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى
اعنده علم الغيب فهو يرى اي اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبأ بما في

صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح
الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية
اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل من صحف موسى او الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر اه والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه
ولا يقدح في ذلك قوله صلعم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره
وقوله تع وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان
عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء واستغفار الملائكة عم ودعاء الاحياء للاموات
وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله فلما كان مناط منفعة
كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل
غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تع وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة
في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزي الانسان سعيه يقال جزاه الله على عمله وجزاه عمله بحذف الجار
وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الجزاء ثم يفسره بقوله تع الجزاء الاوفى او يبدل هو عنه كما في قوله تع واسروا النجوى الذين ظلموا وان
الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلائق ورجوعهم اليه تع لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء
وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء
غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تع على العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشأة الاخرى اي
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا
له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها
سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلعم ابو كبشة تشبيها له صلعم
به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا الاولى هي قوم هود عم وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام
التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل
فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك
عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم
ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عم حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة
هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبرائيل
الى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب لرسول الله صلعم على طريقة قوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد والاسناد

فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها
المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه
فان المراد بتعدد تعدد فيه وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة
للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن
والنذير مصدر او الى الرسول صلعم والتنكير على الاول وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير
مؤول له متضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذار المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول
منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل جماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين في عقبه بقوله
تع ازفت الآزفة اشعارا بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في قوله تع اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تع لكنه لا يكشفها او
ليس لها الان نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تع فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تع كقوله تعالى
تع لا يجليها لوقتها الا هو وليس لها من غير الله تع كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية
افمن هذا الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون
تحزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون
من سمد البعير اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون
جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان معطوفها على الوجه الاخير والمعنى
والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول متوجه للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود
والاول اولى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تع فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر بموجبه على ما تقرر من بطلان
مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك
فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي عم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق به وجحد بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله عم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضه انفلق فلقتين
فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان رضه ابن عطاء عن ابيه ان
معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد
وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اي وان يروا آية من آيات الله يعرضوا
عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يتخلف بحال
كسائر انواع السحر او قوي مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول لا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو
الانسب بتلوهم في العناد والمكابرة وتوبيخه ما سبق اراده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة

وكذبوا اي بالنبي عم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان
لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وقوله تع وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره
حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي
عم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح
وقيل كل امر من امرهم وامره عم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة
او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه اسم مكان او مصدر او اسم زمان اي ذو موضع استقرار او ذو استقرار او ذو زمان
استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم في القرآن
وقوله تع من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم
كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه
موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها
فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونها مظنة
للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما على
الوجه الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع النذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار
لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عم ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في
قوله تع كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول
القيمة وقرئ نكرا بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون
من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ
خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشأ من
وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع
في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله فما تغني النذر
اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تع فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله
تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الآية وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم
وفي ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عم ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي
لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع
الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول
مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا

والتي وقد روي ان الواحد منهم كان يلقيه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة واصله
وفجرنا عيون الارض فغير تغييرا لتحقيق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن
بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح
اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها
تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه كان نعمة كفروها
فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد يجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير
واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها
من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل
هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام
فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر
جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الآية جملة قسمية وردت في آخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار
كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه
على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار
ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه
بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعبارته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية
تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما
بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا
صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي
شؤمه مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم
روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه
قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير
صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر
تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم
في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت
ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم
على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من
آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع

ولو تقدم عليها لفات هذه النكتة وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام
انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من
مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق ءالقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع
علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه
والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من
الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او
على حكاية اجابتهم به صالحا وقرئ الأشر كقولهم حذر وقرئ الأشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى انا مرسلو الناقة الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي
الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على
تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي في صدر قصة عاد انا
ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبرائيل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي
يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح
الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير
منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من
شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبرائيل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر
اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب
ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروف على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم
حينئذ من جهته تعالى تشديد العذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر
صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد
جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل
فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم

ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا
وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات
ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون
نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم و
اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع
لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع
رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقرئ وتولون والتوحيد لارادة
الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وجل
بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر
اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها
لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في
ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي
اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا
مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر
على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين
اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو
الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي
مكتوب على التفصيل في الزبر اي في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ
بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين [illegible]
الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن
ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن النبي ﷺ من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر

سورة الرحمن مكية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله تعالى وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر
لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام

من فنون النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدأ بتعليم
القرآن فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار السعادة الدينية والدنيوية
عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشأوه ومناطه والمقصد الاسنى الا وهو
منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وفي الاقتصار على ذكره تنبيه
على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان
انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان
من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء
الاخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما
ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب
والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما
يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن وترك الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط
المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف
بين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا
من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ومرتبة حيث جعلها منشأ
احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال
بالعدل قامت السماء والارض وقيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم
الكتاب والميزان وقيل هو ما يوزن به من الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك
فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم
واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان
او اي لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل
وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر بالتسوية ثم نهي عن الطغيان
الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر باستعماله
والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره بفتح السين ماضيا والاصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على
ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون
الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل للمنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون
الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر جمع كم بالكسر ما
يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام هو ما يغطي به من كمه

والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين
التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعوم الناس وقرئ والحب ذا العصف
والريحان بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان
قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله الواحدي فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل
من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية
مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند
اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره
تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم
المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لها لا محالة
اي فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء تكذبان وقوله تعالى ربكما تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد
بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين
والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخريين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من
لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض
عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية مبتدا محذوف اي الذي
فعل ذلك من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة
وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من
اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين
وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى
او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي
آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور
وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وضمير منهما للبحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما يخرجان من
ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر
مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ و
المرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول
من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر
كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره سبحانه كل من عليها اي على
الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي

ذاته

ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق بالفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده
وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام
فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر
فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء
ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات
والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان
المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات
بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون
على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم كل يوم اي كل وقت
من الاوقات هو في شان من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني
آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقيل فيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت
شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم
وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى
الا شان واحد هو جزاؤكم فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اي
سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل
وللمفعول وقرئ سنفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان سميا
بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من
جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر
الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة
فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم اي قدرتم على ان تنفذوا اي تخرجوا
من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا
منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك
بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا
الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب
يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا
ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي
لا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف وانعام اي لطف ونعمة واي نعمة
فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان

صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وتوسطه بينهما تنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ
والافنان اما جمع فنن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها
بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي الآء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان
صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل
من مسك وعن ابن عباس رضي الله عنه والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما
من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا
تجريان من مخافة الله عز وجل فباي الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب
او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما تقدم آنفا فباي الآء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور
وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي
تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباي الآء
ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من
الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور
وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس
ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون
وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة
فباي الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كانهن قيل
اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من
كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فباي
الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي ما جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب فباي الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي الآء ربكما تكذبان
وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وتوسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين
النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباي الآء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي الآء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رح من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لم يحنث فباي الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام

لكان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقولهم رأيت من فلان اسدا ولكن التشبيه لا يتعلق بعنوان ...
كريه كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن
به كالحزام والادام وقيل الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباي الآء
ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم
يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما
قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد
من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فباي الآء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم
عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم
من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ
مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ
ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فباي الآء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول يقال لهم بطريق التوبيخ على ان الجملة استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال
او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها
اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا
من النار اغيثوا بالحميم فباي الآء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء
الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان نفسها
الآء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا الآء عظيمة لكونها داعية لهم
الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم
هو في شان من النعم الدنيوية والدينية الانفسية والآفاقية الآء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها
من حيث ايجابها الشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين
هذه الآية من الاحوال الهائلة التي تعتري في الآخرة فليست من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين اي قيامه تعالى على احواله من قام عليه
اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم
للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى
يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد هذا فباي الآء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان

جمع الغير كالذي وغيار وجوآب صفة من غيرات لان غيرا
الذي يجيء خبرا للجمع وقد يجيء على الاصل حسان ابجمان
الحاجب والحاجبان مبنيان الآن بكما كذبان وقوله تع حور بالن من غيرات مقصورات في الخيام قرئن بفتح الصاد وضمها من قصر بفعل اذا
حبسه ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان صحت من جناهن ذرة فوقه فتاتي الآن بكما كذبان
وقوله تع لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي قبله يجيء في جميع الوجوه فتاتي الآن بكما كذبان وقوله تع متكئين بعض
على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة وهو ما رق من الاسترة من
عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائل وقيل التمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل
الاطراف البسط وقضول الفساطيط وارفارف واراف السحاب صفة به وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تع
الوجه انه بلد جن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس والذكر وصف جمع على المفرد كما يأتي راف على احد
الوجهين وقرئ عباري فارفارف حضر بضمتين وعباري كعذاري نسبة الى عبارة اسم البلد فتاتي الآن بكما كذبان
وقوله تع تبارك اسم ربك تنزيه وتعديس لله تع فيه تعليما لما ذكر في السورة الكريمة من الآيات الباهرة الفاصلة
على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الارض المبني على عاصمة الاقاليم
وارتفع ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها جحود يفعلونه وتكذيبها واذا كان اسمه بهذه الدلالة عليه فما ظنك بذاته
الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى حول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال
والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقديس وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم او للرب النبي صلى الله
من قرأ سورة الرحمن اتى يوم القيامة وكان محمدا صلى الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي اذا مت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحققها ووقوعها
لا محالة فانها واقعة بنفسها مع قطع النظر عن وقوع الواقع في خبر الشرط فانه قبل فانت الخائبة وحدثت حادثة
وانتصاب اذا بالمضمر مبني على القول والفعل الواقعة يكون من الاهوال التي لا يبعى به المقال
وقيل بالمنفي المفهوم من قوله تع ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون عند وقوعها نفس تكذب بها كما تكذب
سائر الكوائن او تكذب على الندرة ولوقعتها في حكم المصدر كالعافية اي ليس لاجل وقعتها وفي خبرها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها
من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تع خافضة رافعة خبر مبتدا محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين
وهو تهويل لعظمها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون عند وقوعها من حط الاشياء
الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الارض واذالة الاجرام عن مقاديرها بتبديل الكواكب
واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة
رافعة بالنصب على حال من الواقعة وقوله تع اذا رجت الارض رجا اي زلزلت زلزالا شديدا بحيث
يتهدم ما فوقها من بناء وجبل منقطع بحافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض او عند ذلك فتخفض
ما هو مرتفع وترفع ما هو منخفض او عمل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتت حتى صار مثل
السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سفت وسيرت من ما كها من بس الغنم اذا ساقها بعنف وقوله

تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت ووهبت فصارت اي صارت بحيث
لو كف هباء منبثا منتشرا ولكنهم اصحاب اللامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط
ازواجا اصنافا ثلثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تع فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة تفخيم وتهويل للازواج الثلثة ومحل الاشارة الجامعة
لاحوالهم قبل تفصيلها مفعول فاصحاب الميمنة مبتدا، وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية
مبتدا، ثان وما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل اصحاب اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان سئل
بها عن طلب مفهوم الاسم وحقيقة كنهها فقد يطلب بها الصفة وحال نحو قولك زيد فيقال عالم او طبيب
موضع الضمير لكونه داخلا في التفخيم وكذا الكلام في قوله تع واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
والمراد بتعجيل السامع من شان الموصوفين بالخامة والخظاعة كما نبه قبل اصحاب الميمنة في غاية
واصحاب المشامة في نهاية سوء حال وتطويله في الموصوفين بضد ذلك اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة
السنية واصحاب المشامة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم باليمامن وتشاءمهم بالشمائل وقيل الكرام
يوتونها بشمائلهم وقيل الذين يوتخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يوتخذ بهم ذات الشمال الى النار
وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشوم فان السعداء ميامين على انفسهم مطاعا عنهم والاشقياء مشائم
عليها بما صيهم وقوله والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلثة وانما اخر
ذكرهم مع كونهم سبق الاقسام واخذهم بالفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم فان اخبارهم
بعنوان السبق مطلقا مؤذن بان لهم قصب السبق من جميع الوجوه وتكاثرت فيهم فضل الذين سبقوا
بالايمان والطاعة عند ظهور الحق من تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في جبارة الفضائل والكمالات
وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال قتادة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم
السابقون الى الصلوات خمس وقيل للسابقون في الخيرات وايا ما كان فالجملة مبتدا، وخبر والسابقون
هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقولك لابي البيض وشهي شهي وتكريرهم لتفخيم شانهم والايذان
بتبيين فضلهم واستغنائهم عن الوصف بتجميل والايجاز وقيل السابقون الى طاعة الله هم السابقون
الى رحمته او السابقون الى خير السابقون الى الجنة وقوله تع اولئك اشارة الى السابقون وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وتحكم الاخبار عن الابتداء خبره ما بعده او الموصول
الموصوف بذلك الوصف الجليل المعوتون اي الذين قربت اليا الوسائل العظيم درجاتهم وعلت
مراتبهم وقرئ بالخطاب تفخيما لشانهم القدوس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة واشهره والذي
تقتضيه والله الكريم ان قوله تع فاصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تع واصحاب المشامة
والسابقون فان الكلام عند بيان الاقسام الناس الى الاصناف الثلثة بيان الخص الاقسام واما
اوصافها واحوالها فمحتاج ان تبين بعد ذلك بما يناسبها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والثاني اصحاب
المشامة والثالث السابقون خلا انه لما اريد بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة
بين القسمين منبئة عن مزايا احوالهما في الخير والشر ابتداء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مما
لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدا، وما بعدها خبره على ما اره سيبويه في امثاله بل على انها خبر

خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان او ابد يعني اصحاب الميمنة
كما يفيده كونها مبتدأ، وكذا الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث تحرر بيان محاسنه الى آخره بذكره
لم يحتج فيه الى التعظيم الابهامي فقوله تع والسابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم اولئك مبتدأ ثان
او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله في جنات النعيم متعلق بالمقربون او ظرف مستقر هو
حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة ووجه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار
مقربين ليس فيه مزيد فائدة وقرئ في جنة النعيم وقوله تع ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين
وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالف
قوله ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي
هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تع في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان
كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة
وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا متقدموا هذه الامة ومتأخروها واستشفاع النبي وسؤاله الكثرة
على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في حال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان
من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من
اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف
اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون
والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي
ذلك عن علي رضه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب وأباريق الاكواب آنية لا عرى لها ولا خراطيم
والاباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما اوثرت الكأس لانها
لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون
اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تع يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي
لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره
وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او
على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا
كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء
باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم
فيها اثمتم ولا سماع كقوله ولا ترى الحدث بحالها الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله
تع لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى
انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا
وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تع واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شئونهم الفاضلة

اثر تفصيل شئون السابقين وهو مبتدأ وقوله تع ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم
وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تع في سدر مخضود وهو على
الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشأن اي هم في سدر مخضود اي غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد
شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود
قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة
طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضه انه قرأ وطلع وما شأن
الطلح وقرأ قوله تع لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس رضه نحوه وظل
ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب
لهم اينما شاؤوا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود وكأنه تمثيل حال السابقين
باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين
وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة
عن متناوليها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ
كقوله تع وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء
حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تع هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون ويدل عليه قوله تع انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع
عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابتدعناهن من غير ولادة ابتداء او اعادة وفي الحديث
هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تع بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تع فجعلناهن ابكارا وقوله تع عربا جمع عروب وهي المتحببة
الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين سنة
وكذا ازواجهن واللام في قوله تع لاصحاب اليمين متعلقة بانشأناهن او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب
لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف
اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تع ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف خبرية قصته
اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد والضحاك ثلة
من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضه في هذه الآية قال قال رسول الله عم هما جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل
احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تع ما اصحاب
الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تع في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفى عنه
وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر تحقيقا انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد
ولا كريم وقوله تع انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر

ممن سوء العذاب في الدنيا متنعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات
فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم أي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث
أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أي كان بعض
أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد لانقلابه من الأجزاء البادية وإذا
متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن
على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بإن لتأكيد الإنكار
لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم الكريم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على
رأي الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في
المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك
الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى أو آباؤنا الأولون لتأكيد
النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين
أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا قل ردا لإنكارهم وتحقيقا للحق إن الأولين والآخرين من الأمم الذين من جملتهم
وآباؤكم وفي تقديم الأولين مبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة
الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم أي ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم
والإضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم إنكم أيها الضالون عطف على إن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا
أو رتبة المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم
من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر
هو وصف لشجر أي كائن من زقوم فمالئون منها البطون أي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث
من الحميم أي الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه
للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أي لا يكون
شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم
وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم
الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي
يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب
هذا الذي ذكر من ألوان العذاب نزلهم يوم الدين أي يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك
بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي
تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن
خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها
أي فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا

عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبرا أفرأيتم ما تمنون أي تقذفونه في الأرحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه أي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا أم نحن الخالقون له من غير دخل
شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد
نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة نحن قدرنا بينكم الموت أي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين
حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين أي إنا قادرون وعلى أن نبدل
أمثالكم لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والأطوار
ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله أي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فمن هذا شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما نحن بمسبوقين أحد يهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل
إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الأولى هي خلقهم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون أن من قدر عليها فهو أقدر
على النشأة الأخرى حتما فإنه أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى
وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار أفرأيتم ما تحرثون أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه
أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف أم نحن الزارعون أي المنبتون لا أنتم والكلام في أم كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه
حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون
تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما
اقترفتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ
تفكنون أي تتندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل إنا لمغرمون أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون
بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في
حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين أو تقولون إنا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا
أو محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص
هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به أأنتم أنزلتموه من المزن أي من السحاب
واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب أم نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه أجاجا
ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها في الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق
بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان
أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا
تشكرون تحضيض على شكر الكل أفرأيتم النار التي تورون أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم أنشأتم
شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار أم نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ
عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار
حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وكما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى ثم أنشأناه
خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها أي جعلناها تذكيرا لنار جهنم

حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم لما روي عن النبي عم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم
جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشجر الرطب ومتاعا ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين
الى الاقتداح بالزناد وقد يجوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما
بهمتهم ونيل غايتهم في الايقاد والطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله فسبح
باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه وروائع نعمه الموجبة للتسبيح اما تنزيها له تعالى
عما يقوله الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط النعم الباهرة
مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابغة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان
اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى
لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرا فلاقسم او فلا رد
لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به
وتفخيم شأن المقسم به بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة
على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه او ان نزول الرحمة والرضوان
عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم
نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق
مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم
اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وقوله
تعالى لو تعلمون بين الموصوف والصفة وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه
او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه
الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب والمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن
فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس
على طريقة قوله عم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم
بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه
وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن انتم مدهنون
اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تجعلون
التكذيب موضع الشكر وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق
المطر والمعنى وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الانواء
والاول هو الاولى لسياق الكلام الكريم وسباقه فان قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ
مبني على تكذيبهم بالقرآن وما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته من حيث
ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا التخصيص لاظهار عجزهم واذا

ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول
صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله
الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء
منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا
فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن
خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها هو العامل
في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم
فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من
المقربين الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله
من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها
سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين
عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للمقربين الاول
وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام
بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من
المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد
اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك
ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها
فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من
جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي عم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض
والماء اذا ذهب وابعد فيهما واسند هنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان
مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين
ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب
الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى
وتسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى خالصا لوجهه
ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه التسبيح

الاعتبار اي المسبحة تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب
الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر
بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد
والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله
حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة
هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدؤها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر
عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة
فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار
الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة
علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن
الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع
الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى
بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
لهم في الانفاق فان من علم انها لله تعالى وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق
او جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم
الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغة
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل
وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك
عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على
توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا
اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار
الوقوع كما في أأضرب اباك كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه كما في نحو ما نحن فيه وفي قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون
لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري ذلك الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا
قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر

في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان
من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما
فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات
ليخرجكم اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم
حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في
سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك
ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله مما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي
شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى
ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب
قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض
من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة
وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها
لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم
اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق
مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق
محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع
بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين
اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة
الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي عم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا
بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من
الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل
وعده الله والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه
فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف على الهلاك وقوله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله بعد الامر به
والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان
يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم الاموال وافضل الجهات
فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له
اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس

فيه المنافقون وان لم يصلح فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه
ويضعفه بالرفع وبالنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر
تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل
هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه
يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام
رجله ينطفي تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون دليلا الى الجنة بشراكم
اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم
الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى
للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب
تزف بهم وهولاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور
الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من
نوركم اي نستضئ منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا
وراءكم اي الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان
والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا
لهم وارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة
له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار
من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استيناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم
لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها واهلكتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي
الموت وغركم بالله الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى
بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او
مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استيناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين
ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره
تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر
اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل

من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة
كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من
جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل
هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين
شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد
اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي
كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث
للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون
كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين
والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين
وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا
وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين
بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين
آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن للمضاعفة الا
كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء
تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا
والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف
لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق و
قرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم قد مر ما فيه من الكلام
والذين آمنوا بالله ورسله كافة قد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول
الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ
ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك
والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا
الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى
ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات
ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على
الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية

الكمال ووثاقة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث جعل حكم الصديقون
والشهداء ثم وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخرين بل بين تمام ما للاول من الاصل
والاضعاف وبين ما للاخرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور
الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وعلى قول والشهداء مبتدأ عند ربهم خبره وقيل لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم حيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعد ما بين حال الفريقين في الاخرة شرح حال
الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان
بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع نباته
النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناظرا مونقا وقرئ مصفارا وانما
لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما
متكسرا ومحل الكاف النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا
بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشار الى
فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات والالام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر
العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة
عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى
الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله
فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من
ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك
فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين امنوا بالله
ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك
يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع
والثمار ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق
الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي اعطاكم الله تعالى
منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه
بما هو ات وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ
الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او

او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله
غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق
لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات
الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل
روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة
والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان
اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان الات الحروب انما تتخذ منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد الته والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف
على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي
وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل
او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم
الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر
فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله
تعالى لقد ارسلنا رسلنا وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم
اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرته ثم قفينا على اثارهم
برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح
وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ
بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة
على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شان اصحاب النبي عليه السلام رحماء بينهم ورهبانية
منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا
في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة
في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب
ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل
فخافوا ان لا يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها
عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها

وهو المكون انتصاب رهبانية بفعل مضمر يفسره الظاهر

عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما انت الا امي فلما اتى عليها ذلك
فاستفتت رسول الله ﷺ فقال وهن عليه فقال يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال وهن عليه وفي رواية ما اراك الا قد
وهن عليه وفي الدار قطني فقالت اشكو الى الله تعالى فاقتي ووحدتي وجعلت تراجع رسول الله ﷺ وحكى قال ﷺ وهن
عليك وفي تلك فقلت اشكو الى الله فقرك وفي فاقتي وفي رواية فجعلت تراجعه وتكرر شكواها الى الله فقال
وفي تلك فقلت وفي تلك فقرا واشعارا بان رسول الله والمجادلة كما يقتضان ان ينزل الله حكما يخصها
ويرفع عنها كما يقع به ما روي انه قال ما عندي استفتيها فيه الحديث اخرجه البخاري في اوائل شيء واتهما حاشية
الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وفي رفيعة تم لقولها اجابة وما كان الا
علمه بذلك كما هو المعتاد بقوله تم والله يسمع تحاورهما اي يعلم فيجيب طلبها او يسمع الطلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار التحاور وتجدده وفي تظلمها الى الله تعليم لنا كيف نسلك الخطاب في تظلماتنا ونبه لها من جهتين وجملة استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحي اذا رأى المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى والاستعانة به علم اما بالجواب مبني على التوقف وترتب الوحي وعلله تم بما لها من دوام الاجابة وقيل حال وهو بعيد وقوله تم وان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التخييل اي يعامل في العلم بالمسموعات والمبصرات من تسميعه ان يسمع تحاورهما ويجري ما يقارنه من الحيثيات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تع الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار وبيان نفسه وحكمه المترتب عليه بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد فضل في الاية بالجار تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تغليب للذكور وللعالمين لعادتهم فانهم كانوا من اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر وبظاهرون وبتظاهرون وقوله تع ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة بني تميم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا شبهة بينهن في الحرمة الا من الحيثيات الشرعية من الرضاعات والازواج النبي ﷺ فحرمن علينا كما حرمت علينا الامهات واما الزوجات فالبعضية من الامومة واتهم ليقولون بعد لهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا مما يشهد به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي تحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة ومنه عفو الله عما سلف منه على الاطلاق او بالنسبة عنه وقوله تع والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه اوزارا منكرا بطريق التشريع الكلي المنطبق على حكم حادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تع ان عدتم عدنا فان اللام والى تنافيان كثيرا كما في قوله تع هديانا لهذا وقوله تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تع باان ربك اوحى لها وقوله تع واوحى الى نوح انه لن يؤمن فتحرير رقبة اي فتدارك احدهما تحرير رقبة او فعليه او فالواجب احد الامرين تحرير رقبة ابي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء السببية ومن فحوى بداءة الدلالة على تكرر وجوب الكفارة بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما وقعوه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول المنزل منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تع ومنه ما يقول اي المفضل فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل منهما بصاحبه بالجماع ومقدماته مباشرة ونظرا الى الباعث بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه الكف عنه ولا يعود حتى يكفر وان امتنع بعض الرقبة ثم عتق عليه لم يستانف عنه الخبيثة ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الايمان

وهو ان يكون انتصاب ما بعده بالعطف على انه مفعول مطلق لفعل محذوف

حق رعايتها من حيث ان التذرع بهم الى الله تعالى لائق بكرمه لا استقلالا فانه قصد به رضا الله تع وعلى الوجه الثاني متوجه الى ضمائرهم لا الى نفسه والاستثناء متصل مراعى العلل اي ما كتبنا ما عليهم بان وفقناهم لابتداعها الشبيه من الاشياء الا لنميز الخ يتبعوا ابتغاء رضوان الله تع ويستحقوا الثواب ومن ضرورة ذلك الى المحافظة على مراعاتها حق رعايتها فما رعاها كلهم حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرا عظيما وهو الايمان برسول الله ﷺ وبما جاء به من رعاية رعايتها اجرا لاجر رعايتها فاتاها المعنية للغوص في كنهه وجب وآتى لها الاستيناف الاولى ﷺ اي مخلص من الاب وكينونة منهم فاسقون خارجون عن حد الايمان وحمل الموبقين على من مضى من الامم الجاحدين لحقوق الرسالة قبل النسخ والمحاربين بعد النسخ بعيد والتنكير للتفخيم وقصد السمعة من غير تعرض لما يأتي بهم رسول الله ﷺ وكونه مما لا يسعه المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما يحكم عنه وآمنوا برسوله اي محمد ﷺ وفي اطلاقه ايذان بانه علم في الرسالة لانه يجب الايمان به لذاته ثم بغيره لتكميل نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل ﷺ لكفل لكم على معنى ان تعريفهم بانه بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وبغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والعصيان والله غفور رحيم اي بليغ في الغفران والرحمة وقوله ليئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمر يجب ان يقدر بعد الشرط اذ المعنى ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلموا والمزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تع ان لا يقدرون على شيء من فضل الله تحقيقه من التعليلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وجملة لا يقدرون خبر النصب على انها مفصول يعلم اي ليعلموا انه لا يتأتى شيء ما مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة والمكتوبون من بنيه حينئذ له بان يؤتاه بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تع وان الفضل بيد الله عطف على ان يقدروا وقوله تع يؤتيه من يشاء اخبر بان الفضل العظيم الخ اخر اخبر بذلك تنويها بشان المفضول ما فيه وتفخيرا ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى آتوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله ﷺ يؤتكم ما وعدكم آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا يفضلكم من مثل او مهلا لا تفعلوا ما يفعلونه في الايمانين لانهم قالوا نحن بنو اسحق ويعقوب ابناء رسل الله وقرئ ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين واد عوا الفضل عليهم فرد وقرئ ليلا يعلم الهمزة بالف الاضفاء بعد كسرة وقرئ يسكون الياء وفتح اللام كما سيم الخسف ويكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا احدا وقرئ ليئلا يعلم الذين ﷺ واصحابه والمعنى ليئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي ﷺ والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله ان الفضل بيد الله الآية عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من الذين آمنوا بالنبي ﷺ

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ ما دغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في شانه وتباحث عنك في حقه من الظهار وقرئ تجادلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تع وقيل حال من فاعل الاول تجادلك وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن ايمن او اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما انت الا امي فلما اتى عليها ذلك فاستفتت رسول الله ﷺ فقال وهن عليه فقال يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال وهن عليه وفي رواية ما اراك الا قد وهن عليه وفي الدار قطني فقالت اشكو الى الله تعالى فاقتي ووحدتي وجعلت تراجع رسول الله ﷺ وحكى قال ﷺ وهن عليك وفي تلك فقلت اشكو الى الله فقرك وفي فاقتي وفي رواية فجعلت تراجعه وتكرر شكواها الى الله فقال ﷺ ما عندي استفتيها فيه الحديث اخرجه البخاري في اوائل شيء واتهما حاشية الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وفي رفيعة تم لقولها اجابة وما كان الا علمه بذلك كما هو المعتاد بقوله تم والله يسمع تحاورهما اي يعلم فيجيب طلبها او يسمع الطلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار التحاور وتجدده وفي تظلمها الى الله تعليم لنا كيف نسلك الخطاب في تظلماتنا ونبه لها من جهتين وجملة استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحي اذا رأى المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى والاستعانة به علم اما بالجواب مبني على التوقف وترتب الوحي وعلله تم بما لها من دوام الاجابة وقيل حال وهو بعيد وقوله تع وان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التخييل اي يعامل في العلم بالمسموعات والمبصرات من تسميعه ان يسمع تحاورهما ويجري ما يقارنه من الحيثيات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تع الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار وبيان نفسه وحكمه المترتب عليه بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد فضل في الاية بالجار تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تغليب للذكور وللعالمين لعادتهم فانهم كانوا من اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر وبظاهرون وبتظاهرون وقوله تع ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة بني تميم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا شبهة بينهن في الحرمة الا من الحيثيات الشرعية بينهن من الرضاعات والازواج النبي ﷺ فحرمن علينا كما حرمت علينا الامهات واما الزوجات فالبعضية من الامومة واتهم ليقولون بعد لهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا مما يشهد به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي تحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة ومنه عفو الله عما سلف منه على الاطلاق او بالنسبة عنه وقوله تع والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه اوزارا منكرا بطريق التشريع الكلي المنطبق على حكم حادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تع ان عدتم عدنا فان اللام والى تنافيان كثيرا كما في قوله تع هديانا لهذا وقوله تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تع باان ربك اوحى لها وقوله تع واوحى الى نوح انه لن يؤمن فتحرير رقبة اي فتدارك احدهما تحرير رقبة او فعليه او فالواجب احد الامرين تحرير رقبة ابي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء السببية ومن فحوى بداءة الدلالة على تكرر وجوب الكفارة بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما وقعوه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول المنزل منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تع ومنه ما يقول اي المفضل فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل منهما بصاحبه بالجماع ومقدماته مباشرة ونظرا الى الباعث بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه الكف عنه ولا يعود حتى يكفر وان امتنع بعض الرقبة ثم عتق عليه لم يستانف عنه الخبيثة ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الايمان

هذا آخر ما وجد من تعليقات الشيخ عبد الحق الدهلوي رحمه الله على هذا الموضع من هذا الكتاب

تزاجروا عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم
في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما
يوجبه من جنايات التكفير خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد
اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام
لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس
لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد
لتفخيم شانه وهو اما مرفوع على الابتداء او منصوب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى
البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على
طريقة قوله تع ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين
كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر لكن لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله
دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل اهلكوا وقيل اذلوا وقيل خذلوا وقيل
لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق فالمراد بكبتوا سيكبتون على طريقة قوله تع اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما
كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا
اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وما فعلنا بهم وقيل آيات
تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك
الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين
او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة
فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تع احصاه الله استيناف وقع جوابا عما قبله من السؤال الناشئ من سبقه
التنبئة او من استبعادها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفت
منه شيء وقوله تع ونسوه حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي وقيل لم ينبئهم
بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لاحصائه تع وقوله تع الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى
كما في قوله تع الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وفي قوله تع الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينا [illegible]
انه تع يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تع ما يكون من نجوى ثلثة
الخ استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تع ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث
النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلثة نفر اي مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على انها موصوفة بها اما
بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو

سادسهم وتخصيصهما بالعددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من
الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تع بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا
ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان
نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عم ثم عادوا لمثل فعلهم
والخطاب للرسول عم والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودتهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة
وقوله تع ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول عم وذكره عم بعنوان الرسالة بين المخاطبين المتوجهين اليه عم لزيادة تشنيعهم واستعظام
معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك
به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي
فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى
اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره
فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تع ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم
وليس اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا
اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تع في المجالس
متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عم وكانوا يتضامون تنافسا
في القرب منه عم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى
مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام
متعلق بتفسحوا فافسحوا اي فوسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة
او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا
منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا
درجات عالية بما جمعوا من اثري العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك
شاوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ بما يعملون

يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

وقوله لهم ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله أولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم
به عز وجل وقوله ألا إن حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وتحلية الجملة بعنوان التأكيد
لما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وفي تكرار الموصول
ههنا زيادة التنويه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي أنه عم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود
من ذرية هرون عم نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارا لبعثة النبي عم وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عم يوم بدر قالوا
هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا
إلى مكة فحالفوا أبا سفيان عند الكعبة عليه فأمر عم محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة
ثم صبحهم بالكتائب فقال أخرجوا من المدينة فاستمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه
إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلعم
إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء
على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل
أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات إلى قوله تعالى والله
على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته
إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهوره
تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعارا لاسم الإشارة كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم
وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو
المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج إلخ ففيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى
لأول الحشر أي في أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام
أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر رض إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام
ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا أنهم مانعتهم
حصونهم من الله أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم
للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع
في معازهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لأن وحصونهم مرتفعا بالفاعلية فأتاهم الله أي أمر الله وقدره المقدر لهم من حيث
لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم
الأمن والطمأنينة وقيل الضمير لأتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أي فآتاهم الله العذاب
أو النصر وقذف في قلوبهم الرعب أي أثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها يخربون بيوتهم بأيديهم
ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض
آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وأيدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم وتمكنهم وتوسيعا لمجال القتال

ونكاية لهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون
بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا
بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي أو انتقلوا من حال
الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس
كما فصل في موضعه ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء أي الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر
كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا
بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك أي ما حاق بهم وما سيحيق بهم بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا
مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة لرسوله عم
وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له
أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإنه شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله ورسوله
وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة أي أي شيء
قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على ليان
وهي النخلة الكريمة أو تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
قائمة على أصولها كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وبالضم أو على أنه جمع أصل
وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فذاك أي قطعها وتركها بأمر الله وليخزي الفاسقين أي وليذل
اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا
من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة وندامة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم
وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام
النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى وما أفاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان
ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أي ما أعاده إليه من مالهم وفيه إشعار
بأنه كان حقيقا بأن يكون له عم وإنما وقع في أيديهم بغير حق لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به
إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين منهم أي من بني النضير فما أوجفتم عليه أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه
فارسا ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة والمعنى فما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا
وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا وما كان فيهم راكب إلا النبي عم فافتتحها صلحا
من غير أن يجري بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عم
على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في
أمواله والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ما أفاء الله
على رسوله من أهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه عم من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة

عن العبادة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقار ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد
وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عم الى الامام على قول والى العسكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدال
للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسر الميم
في المال وبالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتطاولون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان
الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالمال وبالفتح
بمعنى فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى المتداول كالمغني لئلا يكون دائرا بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع
على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حلال لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله
اي في مخالفته عم ان الله شديد العقاب فيعاقب من خالفه للفقراء المهاجرين بدل من
لذي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين
منه رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال
وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال
مقدرة اي ناوين لنصرة الله ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة
واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث
ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤوا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال
حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضاء واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا
المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم
وقيل تبوؤوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤوا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره
ومنشأه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل
اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره
واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا
واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم
لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك
اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره
ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان

ينزل عن احداهما ويزوجها احدا ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة
في حيز الحال وقد روي انه كان النبي عم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين
ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين
من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة
فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومعنى الحرج في ان
قوله تع والذين تبوؤوا الدار مستأنف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك كان ذلك
ما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تع يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم
او حالا من ضمير تبوؤوا ومن يوق شح نفسه بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة
فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تع شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب
المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ ومن يوق
بالتشديد والذين جاؤوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون
بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وايا ما كان فالموصول
مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين
والسبق بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا
اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم
ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهو الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤوف رحيم اي مبالغ في الرأفة
والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال
الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن المؤمنين واحوالهم على اختلاف طبقاتهم
والخطاب لرسول الله عم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تع يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه
وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تع لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله لئن اخرجتم اي
من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تع لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن
معكم البتة ولنذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم
على ذلك التقدير ليس بمجرد طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل بنصرتهم عليه كما ينطق به قوله تع وان قوتلتم لننصرنكم اي
لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله عم والمسلمين حتى يعدوا
عدم طاعتهم فيها من وادهم وانما الذي يمكن عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كونهم ولا ريب في ان ما يفعله عم
عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا انه
لوجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان
الفاجرة وقوله تع لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل

على الاجلاء ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك ثم اخلفوهم
وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون
بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة
اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله
فانهم كانوا يدعون عندكم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم
بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار
وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم
ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما
قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها
ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا
الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرمون عن قوس واحدة فيتخبطون في تيه الضلال وتشتت
قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجل
من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل
اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اجلوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل او ذاقوا
وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا
والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق به
قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين
اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين
ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب
بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اي اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء
منك وان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف
الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما
بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه او خالدين فيها وقرئ خالدان
فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق
دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت
لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده
وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن

لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول في اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون
اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره
ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي
اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل
تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من
مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي
الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص
بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه
التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف
مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه
لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما في القسوة
وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا
تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون واريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي
لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر
من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم به او المعدوم والموجود او السر
والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر
وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم
اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله
عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها
شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل
المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المحاسن
حسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز
الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

725

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله
صلعم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل
جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت
فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله
ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلعم وقبل عذره تلقون اليهم
بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار
النبي صلعم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفة
الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق
حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا
للكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب
والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم
بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا
اعلم اي والحال اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي عليه فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم
مضارع والباء زائدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بالتحقق
ودادتهم قبل ان يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون
اليهم محاماة عليهم يوم القيامة بجلب نفع او دفع ضرر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام
والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر
المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول
ويفصل ونفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بنون العظمة والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت
لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين معه اي من اصحابه
المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة
عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا براء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء

وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا
بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هكذا دابنا
معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده فتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة والبغضاء ولاية والبغضاء محبة الا
قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره صلعم لابيه الكافر وان كان
جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد
به ما يجب الايتساء به حتى لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب
فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره صلعم لابيه الكافر
مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فمعزول من السداد بالكلية لان ما به على تناول النهي لا يقتضي
له او ابتنائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه فظاهر بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين حاله
وقد عرفت ان استغفاره صلعم لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله
في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره صلعم له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء
الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله وانهم لابي الآية لاتحاد حكمهما لما عليه صلعم على الاستغفار
وتخصيص هذه العدة بالمذكور دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى ساستغفر لك ربي لوروده على طريق التوكيد
القسمي واما جعل الاستغفار دائرا على اعلام ترتيب الآية على تبين الامر فقد حققه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك
لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك
وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير
لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير اه
من تمام ما نقل عن ابرهيم صلعم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه
بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به
قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب
ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا
ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الاخير تعليما للمؤمنين من جهته تعالى اي قولوا ربنا
بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير لمزيد
الحث على الايتساء به صلعم ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الايذان
بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم
المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد
في معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم
الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب

وتغير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم
من قبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن
البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب
المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم
تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله عليه السلام ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد
بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله عليه السلام على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل الاشتمال من الموصول اي انما ينهاكم
عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعقاب
يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من
بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان يروى ان رسول الله
عليه السلام كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت
التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن
بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد الابتلاء والتيقن من الاستدلال بالعلامات والدلائل والاستشهاد
بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد
الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي و
اعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان
ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله عليه السلام فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب
اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنه من كانت له امرأة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي ره هي المسلمة تلحق بدار الحرب
فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا
بحذف احدى التائين من تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما
انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله
على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه
لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا
شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في

النعيم

التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين
والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما
يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوا
زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم
وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين
ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت ابي امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت
ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه
عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من
الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك
كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك
في معروف اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
عليه السلام لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها
فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة
من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على
المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن
المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله
غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في
كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه
فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبا
يعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروي انه عليه السلام بايعهن وبين
يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله عليه السلام على النساء
قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله عليه السلام كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن
وكان للمؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الآية فاذا
اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم
عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من
ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد
بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال و
شاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلائهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا
من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة اليأس عن النبي صلى الله عليه

في تعظيمي وبشارة عوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عم واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم
اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على
الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة و
الاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا
اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة
النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عم بانواع الاذى
من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب
الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى
معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى التصديق في قوله
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة فان تصديقه عم اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه عم في
قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عم مثله من حيث ان البشارة به
واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى
الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدي
من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم
وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين
مشيرين الى ما جاء به او اليه عم وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى
سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر
اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه
وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه
يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة
تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباً لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته
بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة حال على [illegible]
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله اي ليعليه على
جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور
بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وهو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر
جيء به للايذان بوجوب الامتثال وكأنه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا

قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة انتهت الكتابة [illegible]

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
بين الاحتمال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم
على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الآيات
الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل نزلت فيمن تمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت
ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر
فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم ولم مركبة
من لام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها
لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى
قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا
هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان
قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه اكبر عند من نحو دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده تعالى وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال
لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل وادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون
بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين
انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من
غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام
مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم بطريق التلوين
اي واذكر لهؤلاء المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عم كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به
وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الاذية ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع
للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي
معظمها اهلاك عدوكم وانجاكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشادكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا

وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بعينه وبما فيه من معنى البعد ما لم تستره خير
لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتدون بافعالهم وان كنتم تعلمون انه خير
لكم كان خيرا لكم لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون
وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الامور
الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعمة العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفي تحبونها تعريض بانكم
تؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان
وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ بنصبهما
فيهما على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كأنه قيل آمنوا و
جاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقرئ انصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله
قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم
عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به
وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت
طائفة اي به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى
فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي عم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو في الآخرة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع
على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون من قبل بعثت الكتب بالعلم
انقرضوا من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منهم قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء
من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة
وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة
النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن
تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة
لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية

وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما يتوهم من تعلمه عم من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين
منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤوا بعد
الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عم وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
الحكيم المبالغ في القوة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر
ذلك الذي امتاز به من بين ساير الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا
بها فلم ينتفعوا بما فيها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من
العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو
في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي بئس مثلا
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم
والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول
بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود
الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب
في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة
ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله عم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت
اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه
اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها
من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله بما قدمت ايديهم
متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد
من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي
بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فيما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء
ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما ينبئ عنه قوله تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقوله عم لو تمنوا
لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف
وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية فينبئكم
بما كنتم تعملون اي من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي
اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في
الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب

تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا
يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تع آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول
جمعة جمعها رسول الله عم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا
والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا او اقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك
البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة اي اديت وفرغت فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر
وعن ابن عباس رضه لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد
بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا وزمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون
كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا
اليه فما بقي معه عم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا
جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو
وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا
اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير
من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه
اطلبوا الرزق عن النبي عم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تع والله يعلم انك لرسوله
اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تع والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا او تعيينا لما نيط به التكذيب
من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم
اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موضع الاضمار
لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل
والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة
لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد
ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد
الدخول في الاسلام بانه عم ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان

بها الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل
فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تع فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض
عن سبيله تع انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك
اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق و
والتكذيب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار
ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم
بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على
قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا
يدرون حقيقته اصلا واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وحسن منظرهم لصباحة وجوههم
وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله
عم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب
لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يُسمع على البناء للمفعول وقوله تع كانهم خشب مسندة في حيز الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله عم مستندين
فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة
كبدن جمع بدنة وقيل هي جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد
بواطنهم وقرئ خشب محركة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار
الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم
الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه
الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى
فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعادي قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم
او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تع انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما
هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم اي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاءك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بمدة على حرف الاستفهام
تنبيها على انه عليه وقرئ استغفرت باسقاط همزة الاستفهام للثقل بهمزة الوصل ام لم تستغفر لهم
كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق
ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين
في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موضع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم
دخولا اوليا وقوله تع هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تع لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته
حان لهم ان ينفضوا ازوادهم وقوله تع ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي

الى انفضاض الفقراء من حوله عم بيان ان خزائن الارزاق بيد الله خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ
جهجاه سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون
من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله
ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين فقال النبي عم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى
ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي
الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان
يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله
وتقديم المفعول على الفاعل للمسارعة الى الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني
اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من
الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ
واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان
اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا الى الخيرات
واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي عم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية وقيل مكية وهي ثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها
مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها
واما ملك غيره فعارية من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم
كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له
حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها
من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب
بمقام التوبيخ وقيل المعنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه الى ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه من
الاعمال والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر

والصبيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في
احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات
مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرى لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية
والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله
لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه
تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه
وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة نبؤ الذين كفروا من
قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة
على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من
غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي
ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة فقالوا عطفا على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات
منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية
فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا اي عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله
اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني
عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشان
لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستانفة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افادته كلمة بلى
من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث
والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة
بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن
فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بالانزال
والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال بالوعد
والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل
لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ويعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع
ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن فيه بعض الناس
بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده

من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك
اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا الذي يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا
يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي
لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب
من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة
على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن
ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على
البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء
التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن طاعة
الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اي فلا بأس عليه اذ ما عليه الا البلاغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه ع م والاشعار
بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته ع م محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدأ وخبر
اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه
خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار
بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين والدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق
على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل ... وعلى الثاني
اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن
ذنوبهم القابلة للعفو بان يكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب
والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من
المؤمنين ارادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل
قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم
بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم
في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير
مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا مما رزقكم الله في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا
ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة

لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة
الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي ع م من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة وقيل اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه ع م واظهار جلالة
منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق الاستتباع ع م اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه
كنداء الجميع فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن
وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر
كذا فان المرأة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم
يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها و
اكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة
في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتأكيد
النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج
وقيل لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين بفاحشة مبينة استثناء من
الاول فقيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم
او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم
الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله
اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى
فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف
مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد
ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي
ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق
الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي ع م كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري
ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل
ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر
عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق
واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع
وحسما لمادة الريبة كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رح انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله

يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضه ان
نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى
هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم
الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون
السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدون به وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضه انها سبع ارضين منبسطة
وتظل جميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض
من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير متعلق بخلق او يتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد
احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام ما
ذكر من خلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من
عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي عم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان رسول الله عم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال
لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر رضه يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين
وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبرئيل عم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها
لمن نسائك في الجنة وروي انه عم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك
ريح المغافير وكان رسول الله عم يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي مرضاة ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه [illegible]
لذلك والله غفور مبالغة في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك
محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا
حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في
افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا اي
حديث تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ
انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تع النبي عم على افشاء حفصة عرف اي النبي عم حفصة بعضه اي بعض الحديث
الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عم قال لها الم اقل لك اكتمي علي والذي بعثك بالحق ما ملكت
نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها
به اي اخبر النبي عم حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاءها الحديث قال نبأني العليم الخبير
الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة رضه على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما
الفاء للتعليل [illegible] اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما

من مخالصة رسول الله عم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وعلى الاصل
وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتظاهرا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبرئيل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه
قال ابن عباس رضه اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضه وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي عم وبه قال عكرمة ومقاتل
وهو اللائق بتوسطه بين جبرئيل والملائكة عم فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبرئيل ظهير له عم
يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان
مظاهرتهما اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك اي بعد نصرة الله عز وجل
وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من
هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى
وان نصرته تم بهم ومظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكأنه
قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عم ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها
وجبر الفصل عن مظاهرة جبرئيل عم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عم بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب
او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عم لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي
تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول عم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات
وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على
تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها
بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها
ملائكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد
الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل الاشتمال من الله او فيما امرهم
على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر والتزامه ويفعلون ما يؤمرون اي ويؤدون ما يؤمرون به من غير
تثاقل وتوان وقوله تع يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول القول المضمر حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال
لهم ذلك عند دخول الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي
بعدما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة
انفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها
عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا

ى على رضه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان
تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم
الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر
نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصح او تنصح نصوحا او توبوا نصح انفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود بصيغة الاطماع جريا على عادة الكبار
والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف
العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون وهو على الثاني خبر
آخر للموصول اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل
يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل
السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة عليهم
فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم يرون فيها غلظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله
مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة
لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان للفعل واللام متعلقة به وقوله تعالى
امرأة نوح وامرأة لوط اي حالهما مفعوله الاول وانما اخره ليتصل به ما هو شرح وتفسير لها ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان
متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من جناية عظيمة مع
ما ينفعهما من صحبة النبي ام اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم الرسول
عم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الآية بيان لما ادى اليه خيانتهما اي
فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة
ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال هؤلاء المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا
تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله
مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين
روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله
السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية
للارامل اي وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين

مبنى توبة نصوحا

مع كون ابويها كافرا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط
اصل وصدقت بكلمات ربها بصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه
اي بعيسى عم وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون
اخي موسى عم وعن النبي عم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة رضه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي عم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبته الى الله
عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة
في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار
كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا
فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها في غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد
بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه
ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة
عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه
تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة
وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه
في حكم الشهادة بمضمون الصلة والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضه من انه تعالى خلق
الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء الانثى لا تمر بشيء ولا يجد
رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه تقديره وازالة الحيوة وايا ما كان
فالاقرب ان المراد بالموت الطاري على الحيوة وما قبله وما بعده لظهور مدار ابتنائها لما نطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
فان استدعاء ملاحظتها لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت
لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه
ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم
واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك حاله
في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تعالى
والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه
كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب

ضرورة ان احداً لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض • وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام
لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلاً مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته
كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضاً لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات
والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضاً لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية لما
الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب • وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم
ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور
لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع
على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعاً عنهما اعراباً كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب
من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه مع ان الموصول الثاني في كونه مداراً للبلوى
كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقوله تعالى طباقاً صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر
مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقاً وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات
وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً وبان
في ابداعها نعماً جليلة او استئناف والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى
فيه شيئاً من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلاً من المتفاوتين يفوت منه بعض ما
في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث
اخبر اولاً بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة والفطور
الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد
الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر
خاسئاً اي بعيداً محروماً من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة وهو حسير اي
كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء
اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأنها كلها
مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على طرز ابدع تحار في فهمه الافكار
وطراز فائق يحيم في دركه الانظار وجعلناها رجوماً للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم
بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها رجوماً وظنوناً بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يناسبه
المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على
لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى شهيقاً لانه

في الاصل

في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالاً اي سمعوا كائناً لها شهيقاً اي صوتاً كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا
الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح
فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق بزيادة قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب
عليهم فانه صريح في انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً فابين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه
من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها
بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع
ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما
وقع في سورة الزمر ويقع عنه جوابهم ايضاً قالوا اعترافاً بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين
بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم
وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندماً واغتماماً على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد
حقيقة او حكماً كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير
في كونه نذيراً من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطاً في التكذيب وتمادياً في النكير ما نزل الله على احد
من شيء من الاشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا
بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب
وتمادياً في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتماً واما اقامة تكذيب الواحد مقام
تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا
وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من
ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل
فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية
ومن الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يختص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشيء واختلط به الظنون
وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او
عقاب ضلالهم تسمية له باسمه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا
ايضاً معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاماً او نعقل شيئاً ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم
ومن جملة اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم
تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم
بآيات الله ورسله فسحقاً بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك
الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقاً اي اسحاقاً او لفعل مرتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا
اي بعدوا سحقاً اي بعداً كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً او مجلف اي
لم يدع ولم يبق الا مسحت اه وعلى كلا الوجهين قوله تعالى وانتصابها باضمار فعل اسحقاً واللام في قوله تعالى لاصحاب
السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان
الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائباً عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالخفي منهم وهو قلوبهم

يقال جرض بريقه يجرض جرضاً وهو ان يبلغ [illegible]
[illegible] والجريض الغصة [illegible]
[illegible] ومنه قولهم حال الجريض دون القريض
[illegible]
يقال [illegible]
[illegible]

لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي عليه السلام فيوحى اليه فقال بعضهم
لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه
بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة
اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق
علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه و
تجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها
وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء
التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول
العلم والامعان لاخلاء الفعل عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع اي الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلوه حال
عن الافادة لان نظم الكلام الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك
فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخير عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان حق المقدم اذا اخر لا سيما عند كون
المقدم ما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في
قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب
البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها
لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر
نعمه وآلائه أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه
او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم
الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها
كما فعل بقارون وهو بدل الاشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف بكم فاذا هي تمور اي تضطرب
ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال
الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب
الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون
عن قريب كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب
الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي
لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله عليه السلام وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اي أغفلوا ولم ينظروا الى الطير

فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات
ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان برأهن على اشكال وخصائص
وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير
المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به
التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى
ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع و
تحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على
ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات
للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع
صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون
الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني
من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من
عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا والاوجه القول بان من استفهامية مما لا يقرب الى الصلاح
وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب
بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله تعالى الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك
شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موضع الاضمار
لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر
وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز
لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله
تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب
ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة
الى جهة يتوجهون اليها فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر
بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكبه
فاكب على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة
ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه ام من يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط
والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر
الاول عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام
عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم اي انشأكم بعد ما وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها
من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى

والأفئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة قليلا
ما تشكرون أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد
القلة أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم
وكثركم فيها لا غيره وإليه تحشرون للجزاء لا إلى غيره اشتراكا واستقلالا فابنوا أمركم على ذلك ويقولون
من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد أي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله وإليه تحشرون إن كنتم صادقين يخاطبون
به النبي عم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عم في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف
أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل إنما العلم أي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه
غيره نحو قوله قل إنما علمها عند ربي وإنما أنا نذير مبين أي أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه
فليس من وظائف الإنذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية
عليهما كأنه قيل قد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده والإتيان المقدر
هناك أمر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وصيغة الماضي منزلة منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة
حال من مفعول رأوه إما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو على أنه
مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بأن غشيتها
الكآبة ورهقتها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا
لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء
وقيل هو من الدعوى أي تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وهذا وقد روي عن مجاهد أن الموعود عذاب
يوم بدر وهو بعيد قل أرأيتم أي أخبروني إن أهلكني الله أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون
عليه عم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون
لإحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به قل هو الرحمن أي الذي أدعوكم إلى عبادته مولي النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا أن
كل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء
التحتانية قل أرأيتم أي أخبروني إن أصبح ماؤكم غورا أي غائرا في الأرض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر
وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي عم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة ن مكية وهي اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم
الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك منصوبا بإضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف و
على أنه علم للسورة ثم جعل اسما لها فهو وداخل في حيز التعريف للتحدي بأحد الطريقين المذكورين في فاتحة وأسماء للسور منصوبا على الوجه
المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف والواو في قوله والقلم للقسم وإن جعل ن مقسما به فهي للعطف عليه وأيا ما كان فإن أريد به
قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاقه لما في أيدي الناس لكثرة
منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بإدغام النون في الواو وما

وما يسطرون الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم
على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم
وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر
هو حال من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله تعالى التي هي النبوة والرياسة العامة
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره عم لتشريفه عم والإيذان بأنه تعالى
يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عم عما كانوا ينسبونه عم إليه من الجنون حسدا و
عداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عم في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي
وإن لك بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة لأجرا لثوابا غير ممنون
مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاء منه تعالى بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم
لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عم فقالت كان خلقه
القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنه
فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام
واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال
مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون
مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا
الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد
والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية
وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو أعلم بالمهتدين
إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه
عم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه
من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عم استجلابا لقلوبهم لا عن
طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر
والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك
وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بناء الادهان
على أن ادهانهم محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وأيا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو إظهار
الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه عم فالمعتبر بالنسبة إلى وداده هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في
حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتباره بالنسبة إليه عم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني
المفهوم من ودوا وأن ما بعده حكاية لودادهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها

وجوابه محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لكنه وانتم ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف مهين حقير الرأي والتدبير هماز
عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية
مناع للخير اي بخيل او مناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل
جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة
تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تع بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة
فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف
وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله لا تطع اي لا تطع من كان هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا
بالبنين وقوله تع اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استيناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق
بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب باياتنا ووجهه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه
دخل في ذلك وقرئ أأن كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ
ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه كالاشتراط
غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر
فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة
بالقحط بدعوة رسول الله ص كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين
فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل
الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء
كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من
حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعل ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف
من ربك مبتدئ منه وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم
ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت
سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح
ان اغدوا اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم و
تعديته بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اي
يتسارون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اي
الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين
عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولك لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم فغدوا قادرين

على نفسهم

على نفسهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا
على محاورة جنتهم وذهابها بحيث قادرين بزعمهم على صرامها قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم
قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تع يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة
اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اي طريق
جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا
الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تع قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تع عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا
فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها
وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تع وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى
من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبرائيل عم ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ
من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رض ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال
لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها
كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن
ان قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة
فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة
القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم
واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الآخرة او في جوار
القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه
نعيم الدنيا وقوله تع افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم
بحديث الآخرة وما وعد الله للمسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم
الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد
وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب
نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدرس
فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تع وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
وتخير الشيء واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اي عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب
على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ [illegible]

وتحطيكم ما تحكمون او بالغة اي ابان بلغ ذلك اليهم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلعم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم
بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه بهذه الايات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتمسكون به
لا عقلا ولا نقلا ... يثبتوا به حتى التقليد الذي لا يغني من شيء وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن
ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب
قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذي
قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره
للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون
وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر
يوم الخ او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود
توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه
دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني
عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون
على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم ذلة تلحقهم وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة
او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبونه
وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيكه اه اي حسبك
في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب
الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي اذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام
منه وقوله تع سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة
بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار
لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير
بهم ان كيدي متين لا يدفع عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسألهم على الارشاد
والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك
ام عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عم اذ نادى
في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك
لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه
من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير

الفضل

الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد
جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون
المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تع فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه
الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت
باحد حين هم رسول الله صلعم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي
المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون
قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلعم فنزلت وفي الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ
هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم
وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره صلعم ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع
العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان حكمهم الباطل هذا متفرعا منهم
رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية
بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين
اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه
خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تع وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلعم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين
لا ريب فيه عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب
او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور
او لمن فيها من اولي العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى
الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي
اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في
اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها
فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونه
مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تع وما ادراك ما الحاقة اي اي شيء اعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة
علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت

حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا تبلغه الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة
جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي مر في محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في
قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها
من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا وهو الحاقة مؤكدة لهولها كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون
الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضع
موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام
اثر تنبيهه انه ما دراه وهي بعد اهل كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنه
وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة
القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كائنا
من كان وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة
او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة
العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم استئناف
جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم
كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت
دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح
وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها
الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل
ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها اي في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى
جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء
على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه من الامم وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه
قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ التي من
جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم
اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء
بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في التكذيب فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها
احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في الجارية اي في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء
الى انقضاء ايام الطوفان لا تخويضهم في السفينة كما ينبئ عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم
محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين
لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء
في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن
واعية اي اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل والتنكير للدلالة

على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة
اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة
واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه
الدكان فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اي الجنس المتعارف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا
بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجأون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم
الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم
مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر
وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله
تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس
للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه تعالى اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ
تعرضون اي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روي ان في يوم القيامة ثلث
عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك
بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اي تعرضون غير خاف عليه تعالى
سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى
يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤوا
كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال
وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه
اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب
ايثارها لثبوتها في الامام اني ظننت اي علمت اني ملاق حسابيه ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد
ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة
كما يقال دارع ونابل او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة
بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة
والقطف بالفتح مصدر دانية ينالها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا

اوتیتم بسعیکم بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فی الایام الخالیة ای الماضیة فی الدنیا وعن مجاهد ایام الصیام وروی
یقول الله یا اولیائی طالما نظرت الیکم فی الدنیا وقد قلصت شفاهکم عن الاشربة وغارت اعینکم وخمصت بطونکم فکلوا
الیوم هنیئا بما اسلفتم الآیة واما من اوتی کتابه بشماله ورأی ما فیه من قبائح الاعمال فیقول یا لیتنی لم اوت کتابیه ولم ادر ما حسابیه
لما شاهد من سوء العاقبة یا لیتها یا لیت الموتة التی متها کانت القاضیة ای القاطعة لامری ولم ابعث بعدها ولم الق ما لقی فتمنیها
للموت ویجوز ان یکون الضمیر لما شاهده من الحالة یا لیت هذه الحالة کانت الموتة التی قضت علی فانه وجدها امر من الموت
وتمنی ان یکون بدل الحیوة الدنیا ای یا لیت الحیوة الدنیا کانت الموتة والمخلوع حیا ما اغنی عنی مالیه مالی من المال
والاتباع علی ان ما نافیة والمفعول محذوف او استفهامیة للانکار ای ای شیء اغنی عنی ما کان لی من الیسار هلک عنی
سلطانیه ای ملکی وتسلطی علی الناس الحجج التی کنت احتج بها فی الدنیا خذوه فغلوه ای شدوه بالاغلال ثم الجحیم
صلوه ای لا تصلوه الا الجحیم وهی النار العظیمة لیکون جزاء علی وفق المعصیة حیث کان یتعظم علی الناس ثم فی سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا فاسلکوه فادخلوه فیها بان تلفوها علی جسده فهو فیما بینها مرهق لا یستطیع حراکا
ما ومعنی ثم فی الموضعین وتقدیم الجحیم للدلالة علی الاختصاص والاهتمام بذکر الوان ما یعذب به وثم للتفاوت ما بین الغل والتصلیة
ما بینها وبین السلسلة فی الشدة انه کان لا یؤمن بالله العظیم تعلیل علی طریق الاستیناف للمبالغة ووصفه بالعظیم
بالعظیم للاشعار بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فیها استحق اعظم العقوبات ولا یحض علی طعام المسکین
ولا یحث علی بذل طعامه او علی طعامه فضلا ان یبذل من ماله وقیل ذکر الحض للتنبیه علی ان تارک الحض بهذه المنزلة
فکیف بتارک الفعل وفیه دلالة علی ان الکفار مخاطبون بالفروع فی حق المؤاخذة وتخصیص الامرین بالذکر لان
اقبح العقائد الکفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فلیس له الیوم ههنا حمیم ای قریب یحمیه ویدفع عنه ویحزن
علیه لان اولیاءه یتحامونه ویفرون منه ولا طعام الا من غسلین ای من غسالة اهل النار وصدیدهم فعلین من الغسل لا یأکله
الا الخاطئون اصحاب الخطایا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد
وقری الخاطیون بابدال الهمزة یاء وقری بطرحها وقد جوز ان یراد بهم الذین یتخطون الحق الی الباطل ویتعدون
حدود الله فلا اقسم ای فاقسم علی ان لا مزیدة للتأکید واما حمله علی معنی نفی الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقیق
فیرده تعیین المقسم به بقوله بما تبصرون وما لا تبصرون کما مر فی سورة الواقعة ای اقسم بالمشاهدات
والمغیبات وقیل بالدنیا والآخرة وقیل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
والاول منتظم للکل انه ای القرآن لقول رسول یبلغه عن الله فان الرسول لا یقول عن نفسه کریم علی الله وهو النبی
او جبرائیل وما هو بقول شاعر کما تزعمون تارة قلیلا ما تؤمنون ایمانا قلیلا تؤمنون ولا بقول کاهن کما تدعون
تارة اخری قلیلا ما تذکرون ای تذکرا قلیلا او زمانا قلیلا تذکرون علی ان القلة بمعنی النفی ای لا تؤمنون ولا
تذکرون البتة والمعنی ما اکثر ما تذکرون وقیل ذکر الایمان مع نفی الشاعریة والتذکر مع نفی الکاهنیة لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بین لا ینکره الا معاند
بخلاف مباینته للکهانة فانها تتوقف علی تذکر احوال الرسول ومعانی القرآن المنافیة لطریقة الکهنة ومعانی اقوالهم
وانه خبر بان ذلک ایضا مما لا یتوقف علی تامل قطعا وقری بالیاء فیهما تنزیل من رب العالمین نزله
علی لسان جبرائیل ولو تقول علینا بعض الاقاویل سمی الافتراء تقولا لانه قول متکلف والاقوال المفتراة اقاویل
تحقیرا لها کانها جمع افعولة من القول کالاضاحیک لاخذنا منه بالیمین ای بیمینه ثم لقطعنا منه الوتین ای نیاط
قلبه بضرب عنقه وهو تصویر لاهلاکه بافظع ما یفعله الملوک بمن یغضبون علیه وهو ان یاخذ القتال بیمینه ویکفحه بالسیف

ویضرب عنقه وقیل الیمین بمعنی القوة قال تمالیلهم اذا ما رایة رفعت لمجد تلقاها عرابة بالیمین فما منکم ایها الناس
من احد عنه عن القتل والمقتول حاجزین دافعین وصف لاحد فانه عام وانه ای القرآن لتذکرة للمتقین لانهم
المنتفعون به وانا لنعلم ان منکم مکذبین فنجازیهم علی تکذیبهم وانه لحسرة علی الکافرین عند مشاهدتهم لثواب المؤمنین
وانه لحق الیقین الذی لا یحوم حوله ریب ما فسبح باسم ربک العظیم ای فسبح بذکر اسمه العظیم تنزیها له عن الرضاء
بالتقول علیه وشکرا علی ما اوحی الیک عن النبی صلعم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالی حسابا یسیرا

سورة المعارج مکیة وهی اربع واربعون آیة
بسم الله الرحمن الرحیم

سال سائل ای دعا داع بعذاب واقع ای استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث فانه قال
انکارا واستهزاء ان کان هذا هو الحق من عندک فامطر علینا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب الیم وقیل ابو جهل حیث
قال اسقط علینا کسفا من السماء وقیل هو الحارث بن النعمان الفهری وذلک انه لما بلغه قول الرسول عم فی علی رضه من کنت
مولاه فعلی مولاه قال اللهم ان کان ما یقول محمد حقا فامطر علینا حجارة من السماء فما لبث حتی رماه الله بحجر فوقع
علی دماغه فخرج من اسفله فهلک من ساعته وقیل هو الرسول عم استعجل عذابهم وقری سال وهو اما من السؤال علی لغة قریش قال مخ
ما ذا او من السیلان ویؤیده انه قری سال سیل ای اندفع واد بعذاب واقع وصیغة الماضی للدلالة علی تحققه وهو اما فی
الدنیا وهو عذاب یوم بدر فان النضر قتل یومئذ صبرا وقد مر حال الفهری واما عذاب الآخرة للکافرین صفة اخری لعذاب
ای کائن للکافرین او صلة لواقع او متعلق بسال ای دعا للکافرین بعذاب واقع وقوله تع لیس له دافع صفة اخری
لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمیر فی للکافرین علی تقدیر کونه صفة لعذاب او استیناف
من الله متعلق بواقع او بدافع ای لیس له دافع من جهته تع ذی المعارج ذی المصاعد التی یصعد فیها الملائکة بالاوامر والنواهی
او هی عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائکة والروح ای جبریل عم افرد بالذکر لتمیزه وفضله وقیل الروح
خلق هم حفظة علی الملائکة کما ان الملائکة حفظة علی الناس الیه الی ذاهب الی ربی ای الی حیث امرنی به فی یوم کان
مقداره خمسین الف سنة مما یعده الناس وهو بیان لغایة ارتفاع تلک المعارج وبعد مداها علی منهاج التمثیل و
التخییل والمعنی انها من الارتفاع بحیث لو قدر قطعها فی زمان لکان ذلک الزمان مقدار خمسین الف سنة من سنی الدنیا
وقیل معناه تعرج الملائکة والروح الی عرشه فی یوم کان مقداره مقدار خمسین الف سنة ای یقطعون فی یوم ما یقطعه الانسان
فی خمسین الف سنة لو فرض ذلک وقیل فی یوم متعلق بواقع وقیل بسال علی تقدیر کونه من السیلان فالمراد به یوم القیمة
واستطالته اما لانه کذلک فی الحقیقة او لشدته علی الکفار او لکثرة ما فیه من الحالات والمحاسبات واما ما کان
فذلک فی حق الکافر واما فی حق المؤمن فلا لما روی ابو سعید الخدری رضه انه قیل لرسول الله عم ما اطول هذا الیوم فقال عم
والذی نفسی بیده انه لیخفف علی المؤمن حتی انه یکون اخف من صلوة مکتوبة یصلیها فی الدنیا وقوله تع فاصبر صبرا جمیلا
متعلق بسال لان السؤال کان عن استهزاء وتعنت وتکذیب بالوحی وذلک مما یضجره عم او کان عن تضجر
واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سیل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم یرونه
ای العذاب الواقع او یوم القیمة علی تقدیر تعلقه بواقع بعیدا ای یستبعدونه بطریق الاحالة فلذلک یسألون به
ونراه قریبا هینا فی قدرتنا غیر بعید علینا ولا متعذر علی ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الی الامکان والجملة تعلیل
للامر بالصبر وقوله تع یوم تکون السماء کالمهل متعلق بقریبا ای یمکن ولا یتعذر فی ذلک الیوم او بمضمر دل علیه واقع

او بالسم مو فاي يوم يكون السماء كالمهل اه يكون من الاهوال والاهوال ما لا يوصف او بدلا من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما
قالوا ولعل الاولى ان قوله سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود الموضوع على الكافرين لا ما حكاية النضر او ابو جهل العذاب فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في
قوله تعالى فاسأل به خبيرا او قوله تعالى ليس له دافع لها استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر
صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون اه منصوب بمضمر ليدل على واقع او
بما دل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن
كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك
وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من
التسآل الا اشتغالهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضمير
لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ
اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لوداده ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة
فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعول يود والتقدير يود افتداءه ببنيه اه والجملة استئناف لبيان
ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها
وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته
اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن
للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني تمنى لو كان هو لا
شيئا تحت يده وبذله في فداء نفسه ثم ينجيه وهيهات كلا ردع للمجرم على الودادة وتصريح بامتناع الانجاء والافتداء وضمير
انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهو علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب
نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعو اي تجذب
وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط
الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعائه
وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الهلع
سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر والمرض ونحوهما
جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة
احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء
للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح المذكورة لانها بمعزل عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة
الناشية عن الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين
في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة و
الصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين

[illegible]

باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استصغارا لها واستعظاما
لجنابه تعالى وجلالته كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون
اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء
ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون المعتدون لحدود الله والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل حيا لحقوق الناس
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على
صلاتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة
ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة
حقيق بان له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات
اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه
لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين
مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلعم حلقا
حلقا وفرقا ويستهزؤن بكلامه عليه الصلوة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلعم فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع و
المعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى ازمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى
ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوأ منازل الكاملين
فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة
فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فما لم تستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاوجه
انه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم
برسول الله صلعم وبما نزل من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما
يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم
برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم
ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية
على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوبتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا

[illegible]

في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون
من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاجداث سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين
كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد والنصا
يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم
ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكره ما سبق ذكره من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سال سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي تسع او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل
حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة
الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال
كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما في
الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل و
الكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجلا او آجلا لئلا يبقى
لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله اياه بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام
فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه
ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على
تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح
في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على
الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه
الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب
المذكور في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام
كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء
الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون
شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح ام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه
وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد
معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا
اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا اسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها

كما في قوله تعالى فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم
من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم لئلا يبصروه
كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه
فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه
احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه
وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم
المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من المنافع العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله
عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع
عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدر والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا الا يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم
لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان
الانكار متوجه الى السبب مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق
بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة
لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون
انه خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير
في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء
بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار
الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل فان اللائق
بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما
عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير
من التعسف وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر
يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا
له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنه ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال
قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي
متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء
الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل
كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة

الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس
القمر كذلك انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اي انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على
الحدوث والتكون من الارض ونباتا مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من مطاوعه اي انبتكم من
الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل
اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر
اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيطا لكم بين الجعل
ومفعوليه مع ان حقه التاخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخر
ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا
منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها
لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية
لطول العهد بحكاية مناجاته ربه اي قال مناجيا له رب انهم عصوني اي تمادوا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم
بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم
وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهة
حاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا منهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون
على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها
مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه
وتحريشهم لهم على اذية نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي لا تتركوا عبادتها الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال
ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا
يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا
اي الرؤساء كثيرا او الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا
ضلالا عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني
وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب
هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده
ما سبق من دعائه مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها
جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء

الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاقترابه
وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبانها غير قادرة على نصرهم تهكما بهم وقال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم اعتراض
دعائه للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم
للاهلاك لاجلها لا انه حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه وبينهم من الاحوال والاقوال
والا لاورد بعد حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور
كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان
دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من
سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون
من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعدما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا
من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ و
لولدي سام وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرج امرأته وابنه كنعان
ولكن لم يجزم بخروجه الا بعدما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات
عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن
لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم
قال ﷺ يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم
بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين سنة او سبعين فلم يكن
معهم صبي حين غرقوا عن النبي ﷺ من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو همزة كاعد وازن
في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشأن استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف
لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية
وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم
ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى به رسوله وقد مر ما فيه من التفصيل
في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم
ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن
ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل
المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا
اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم مكانه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى

وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او سلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي
بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما
يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ
جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا
للتوحيد والايمان تنبهوا للخطاء فيما اعتقدوه كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه
تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد
او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان او التصديق بهذا القول ليس باعتبار
انهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى
كان شططا واما تعلقها بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فوجهه وهو اعتذار منهم عن تقليدهم
لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول
او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقوّل بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له
لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد
قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا
الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا
بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله
احدا او قيل للمعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة فلا يتكون هذه الآية وما بعدها من جملة الكلام الموحى به والاظهر انهما
كذلك على تقدير عطفها على انه استمع اذ لا معنى لاندراجها تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا
السماء وما بعده من الجمل الصادرة بان ينبغي ان يكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه
قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كالخدم مفرد اللفظ ولذلك
قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا
نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق
بنقعد او لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له
شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد
في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلعم والصحيح انه كان قبل المبعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد
زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قوله تعالى
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب
الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال
في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد
كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح
الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله

تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكي بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون
اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة
مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين
في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله
فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا
حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف
والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق
الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان
الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام
الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عم ولم يكفر
وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو
استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة
ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اي شاقا
صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله انه استمع اي
واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لا تعبدوا فيها مع الله احدا
غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض
كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلعم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود
السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشان لما قام
عبد الله اي النبي صلعم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه
عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر في الاحقاف
كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته
واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام
عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد
بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا
بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤوه فابى الله الا ان يظهره
على من ناواه قل انما ادعوا اي اعبد ربي ولا اشرك به في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر
يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله صلعم للمتراكمين عليه والاول اظهر

والاوضح لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا
المتقابلين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملجأ ومعدلا وهذا بيان
لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما
اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا حرف مركبة من ان الشرطية ولا النافية
ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته
اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان
له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها اي في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية
وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم
لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من
اضعف ناصرا واقل عددا وقيل المراد بما يوعدون ما رأوه يوم بدر ويأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له
واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربي
او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه
احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من
عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا
ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه
لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادي رسالته
بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات
اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير
ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب
التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك
الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من
مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء
ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول
عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله
تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ
المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها
ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهاره على من ارتضى والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد
فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف
والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة

هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط
فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل
الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط
بما لديهم اي بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه
تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال
انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء مما كان وسيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء
ايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد
به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان
اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها
كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك
واحاط بما لديهم فبمعزل من السداد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا
للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة
وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب
فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى
يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله اي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام
او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل على
الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى
نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان
الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل
مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلا
اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره
عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء
الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبر
بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو
عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل الا قليلا

استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات
وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه
أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا وقيل الذي يليق بالنظم الكريم هو الأول والله أعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن
أي في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر
رتل ورتل إذا كان مفلجا إنا سنلقي عليك أي سنوحي إليك وإيثار الإلقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن
العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه
رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضه كان إذا نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد يتفصد عنه
وإن جبينه ليتفصد عرقا إن ناشئة الليل أي النفس التي تنشأ كالعادة من مضجعها إلى العبادة أي تنهض من نشأ من مكانه إذا
نهض أو أن قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو أن العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث أو أن
ساعات الليل فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الأول من نشأ إذا ابتدأ هي أشد وطأ أي هي خاصة
أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء أي أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أريد بها النفس
أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات وأشد موافقة لما يراد من
الخشوع والإخلاص وأقوم قيلا وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات إن لك في النهار
سبحا طويلا أي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل
وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا أي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه
كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل إليه أي وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق
القوة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه عن العوائق الصادرة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه
قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره
لا إله إلا هو وقرئ بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على إضمار حرف القسم جوابه لا إله إلا هو والفاء في قوله تعالى
فاتخذه وكيلا لترتيب الأمر وموجبه على الاختصاص بالألوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بأن تجانبهم وتداريهم وتكافئهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين أي دعني
وإياهم وكل أمرهم إلي فإن في ما يكفيكم أولي النعمة أرباب النعمة وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا إن لدينا
أنكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل وجحيما تعليل للأمر أي إن لدينا أمورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب
في الحلقوم ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا أليما ونوعا آخر من العذاب مما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه
كل ذلك مقابلهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال أي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي
تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا أي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها
كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا إذا نثر إنا أرسلنا
إليكم يا أهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والمعاصي كما أرسلنا إلى فرعون رسولا
هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي أرسلناه إليه ومحل الكاف
النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي إنا أرسلنا إليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله شاهدا عليكم

فإنه عليه السلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلام

أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد النظر أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار

إرسالا

إرسالا كائنا كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا خارج من التشبيه للتنبيه على
أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل أي وخيم لا يستمرأ لثقله و
الوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون أي كيف تقون أنفسكم إن كفرتم أي بقيتم على الكفر يوما أي عذاب
يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع أشيب أما حقيقة أو
تمثيلا وأصلها أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد يجوز أن يكون
ذلك وصفا لليوم بالطول السماء منفطر أي منشق وقرئ متفطر أي متشقق والتذكير لإجرائه على موصوف
مذكر أي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها إلا ما يعبر عنه
بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت
العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف إلى الفاعل أو لليوم وهو مضاف إلى المفعول
إن هذه إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا بالتقرب إليه
بالإيمان والطاعة فإنه المنهاج الموصل إلى مرضاته إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل أي أقل منهما
استعير له الأدنى لما أن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ونصفه وثلثه بالنصب
عطفا على أدنى وقرئ بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك أي ويقوم معك طائفة من أصحابك
والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه
موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم أن لن تحصوه أي علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الأوقات
ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه
فاقرأوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من الصلاة عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن
بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية
علم أن سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الأرض
يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون
في سبيل الله وإذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعي إلى الترخيص فاقرأوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق وأقيموا
الصلاة أي المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وقيل هي زكاة الفطر إذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل
آخر السورة مدنيا وأقرضوا الله قرضا حسنا أريد به الإنفاقات في سبيل الخيرات أو أداء الزكاة
على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء وما تقدموا لأنفسكم من خير أي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا و
أعظم أجرا من الذي يؤخرونه إلى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد أو فصل وإن لم يقع بين معرفتين
فإن أفعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في
كافة أحوالكم فإن الإنسان قلما يخلو من تفريط إن الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي أول سورة نزلت روي

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل
سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما
متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة المفعول من دثره اي الذي دثر
هذا الامر العظيم وعصب به وقرئ ... يا ايها المتدثر على الاصل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر
اي احدث الانذار او افعله وقيل انذر قومك كقوله وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء اعتقادا
وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على
تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول من
الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه
وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة واولى وواجب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن
النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به صلى الله عليه وسلم من
رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس عما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان
طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء عن المعايب ودنس الاخلاق والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات
على هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما
كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه
الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب
او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه
من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من شأن المان بما يعطي ان يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها
كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقد قرئ بالنصب باثباتها وتجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها
كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك اي لوجهه او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء
الفرائض فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا
ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ
بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع
يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تأكيد
لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي المختص
عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد

في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح
الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي
معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته
وحيدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف
له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا
في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر وقيل كان له الضرع والزرع و
التجارة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة الاف
دينار وقال سفين الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا
معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية
والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار
لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل
انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه وقوله تعالى
انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكونها نعمة
مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان
من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب
الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت
واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه
كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لآياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شأن القرآن
وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله
او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره
واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة
والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بالجاه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط
وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو
ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثر

عن اهل بابل فارتج النادي وخاو وتواموا متعجبين بقوله ومتعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة علي ان
الثانية ابلغ من الاولي وفيما بعد علي اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما
لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الي رسول الله صلعم ثم قطب
في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلعم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر
اي يروي ويتعلم والفاء للدلالة علي ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تع ان هذا
الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر
اي اي شيء اعلمك ما سقر علي ان ما الاولي مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته
من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها لما مر ان ما يطلب بها الوصف وان كان
الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تع لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها والجار للوعد الضمني الذي توجه
به ما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقي فيها الا اهلكته واذا اهلكته لم تذره
هالكا حتي يعاد او لا تبقي علي شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة
لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تع لترونها
عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب علي الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا او
من الملائكة يلون امرها ويتسلطون علي اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم
واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوي الخلق واقومهم
بحق الله عز وجل وبالغضب له تع واشدهم باسا عن النبي صلعم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلي
رقبتهم جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر
فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما
جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها علي التلازم
بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران كذلك وهو الحكم بان عليها
تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر
الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما ذكر من استيقان اهل الكتاب وازدياد المومنين
ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوي الحيوانية الاثني عشر
والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلي كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات
الخمس فيبقي تسعة عشر قد تصرف الي ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب متعلق بالجعل علي المعني المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلعم وصدق القران لما شاهدوا ما فيه
موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم

انه كذلك

انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الي ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون
تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المومنون في سلك
اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه علي تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب
مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المومنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة
الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم علي الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض
شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون علي التكذيب ماذا
اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء
ذلك اشارة الي ما قبله من معني الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب علي انها صفة لمصدر محذوف والتقدير
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه
ثم قدم علي الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره
الي جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك
الايات الي جانب الهدي لا اضلالا وهداية ادني منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة
المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الي حصر الممكنات والوقوف علي حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا
عن الاطلاع علي تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها
الا ذكري للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر
بمعني ادبر كقبل بمعني اقبل ومنه قولهم صار كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي
اضاء وانكشف انها لاحدي الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبري جعلت الف
التانيث كتائها فكما جمعت فعلة علي فعل جمعت فعلي عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع
قاصعة اي لاحدي البلايا او الدواهي الكبر ومعني كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها نذيرا
للبشر تمييز اي لاحدي الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع علي انه خبر بعد خبر
لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الي الخير فيهديه الله تعالي
او يتخلف عنه فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون في معني قوله تع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل
نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تع بكسبها والرهينة اسم بمعني الرهن كالشتيمة بمعني الشتم لا صفة
والا لقيل رهين لان فعيلا بمعني مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم
كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسني وقيل الذين
كانوا عن يمين ادم عم يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر
لمبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم
فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تع يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد
بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا علي ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل
وان وضعت في الاصل للدلالة علي صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا

حكاية قولك ثم رأى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها حذف ذكرى للبعض الثاني وتقصد بها الدلالة على الاول فقط فذكر
للفصل في مفصول حكاية قولك ثم او الهلال في يتساءلون عن المجرمين يتساءلونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه غير
المسئول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فادخل
ودع عنك ما قال فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك
نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم
الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي
وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم
مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن
القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال
من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم
معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كأنهم حمر مستنفرة حال
من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر
والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يصطادونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم
عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم
ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء
اليك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع عن ذلك بل لا يخافون
الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة
فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى
فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل
او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى
اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به عن النبي من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة انتهت الكتابة الى ههنا قبيل المغرب من السابع عشر من ذي القعدة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى
لا اقسم بكذا اني لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام
لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا الاولى رد لكلامهم وقيل القسم كأنهم

انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام
على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس
اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى بغاية طرف من البراعة التي في القسم
السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة
وقيل بالجنس لما روي انه ﷺ قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون
مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل
بنفس آدم ﷺ فانها لا تزال تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة
وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا
نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض
والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي ﷺ يقول فيهما
اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله ﷺ يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره
فاخبره رسول الله ﷺ فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا
قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار
العظام على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان
ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة
اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره
وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوءه
وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء
وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول
الانسان يومئذ اي يوم اذ يقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون
هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت
اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان
او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي
لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة او بما اخر من سنة
حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله
وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة
على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا

مبصرة او عين بصيرة او التاء للمبالغة وهي بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه
لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من يستكن
في بصيرة او من مرفوع ينبؤا اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو
اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان
رسول الله صلعم اذا لقن الوحي نازع جبرئيل عم القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر صلعم
بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن
لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب
عليك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبرئيل
واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التاني فاتبع قرآنه فكن مقتفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه
اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة والى ذلك
بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم
عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار
بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ
ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم
على ان وجوه مبتدا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وقوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدا او نعت
لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصح وقوع النكرة مبتدا لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما
هو المشهور من ان حق الصفة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه
كذلك فحقه الخبرية فيتعين كونها ناضرة الى ربها ناظرة خبرا مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتفتخر
تع بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بجملته خلاف الظاهر والمستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن
يتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت
النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما
هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه
الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت
عليها عند علز الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك
يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عم والقرآن الذي نزل عليه
او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان
الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب
الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه
اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك

وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى
اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى
وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف وارد لابطال الحسبان
المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى
لقوله عز ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان
الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا
الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي ان النبي عم كان اذا قرأها قال
سبحانك بلى وعنه عم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من
الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر
والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف
اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير
وآدم عم وهو المروي عن ابن عباس رضه وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس رضه في رواية ابي صالح عنه مر به
اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام
اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة و
عشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضه ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه وهذا بيانا لخلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته
ووصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة
فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فما كان من عصب
وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد
كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه
حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روي عن ابن عباس رضه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية
ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه
قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه
اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا او التفصيل او التقسيم اي هديناه الى ما
يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او قيل من السبيل
اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف
الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بجبر منا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة

الغد آصل والاستشعار بأن الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما الماخوذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي
هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر
كما في قوله تع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه
بذكر المؤمنين احسن على ان وصفهم تفصيلا ربما يخل بتناسب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للمناسبة ان الابرار
شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة
السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تع وقيل
من يؤدي حق الله تع ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كأس هي الزجاجة اذا كانت
فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية وبيانية كان مزاجها اي ما يمزج به
كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تع
عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه
وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف اي يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تع يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة
بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله
وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم
اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري بالقوة والرجاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تع يوفون بالنذر استئناف
مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا
يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجب الله تع عليهم ويخافون
يوما كان شره مستطيرا اي فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
بمنزلة استفعل من افعل ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تع لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الطعام بان يكون ذلك بطيب النفس وكائنين على حب الله تع او اطعاما
كائنا على حبه تع وهو الانسب لما سيأتي من قوله تع لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسيرا كان فانه صلعم
يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلعم
الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال
من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة
المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا
فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا لوجه الله تع لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
وهو تقرير وتوكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم او لا نطلب جزاء ان يقينا ربنا
بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي نخاف عقاب الله تع ان اردناهما فوقاهم الله شر
ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة
في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب

المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضه ان
الحسن والحسين رضه مرضا فعادهما النبي صلعم في ناس معه فقالوا لعلي رضه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضه وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضه من شمعون
الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضه صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد
الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضه فاقبلوا الى النبي صلعم
فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها
قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عم وقال خذها يا محمد هنأك الله تعالى
في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل
صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تع لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال
ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير
القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها
حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تع ولمن
خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان
هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا
اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها
عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة
فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له
ولا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة
وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير
قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال
معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير
للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تع ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها
على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به عينا بدل
من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تع طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل يسقون
فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم
الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون

علي ما هم عليه من الطراوة والبهاء، اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الي بعض، واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل
يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم، عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف علي انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر
والجملة صفة اخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف
عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع علي
انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا علي سندس بالمعنى لكونه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا علي ثياب وقرئ بجر الاول ورفع الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح علي انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب، وحلوا اساور من فضة عطف علي يطوف
عليهم ولا ينافيه اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوا بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار
قد وعلي هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين، وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق النوعين السابقين
كما يرشد اليه اسناد سقيه الي رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الي اللذات الحسية
والركون الي ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين
ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار، ان هذا علي اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون
الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب، انا نحن
نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان، فاصبر لحكم ربك
بتأخير نصرك علي الكفار فان له عاقبة حميدة، ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك
اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة علي انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي علي الوصفين مشعر بانه لهما فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة
في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور
الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو، واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم علي ذكره في جميع الاوقات
او دم علي صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما، ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد صلوة
المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص، وسبحه ليلا طويلا وتهجد
له من الليل طويلا، ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية، ويذرون وراءهم اي امامهم
لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لشبه شدته وهوله
بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهي عنه، نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب، واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ر
يب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيعه كقوله ثم لا يكونوا امثالكم واذا للدلالة علي تحقق القدرة
وقوة الداعية، ان هذه تذكرة اشارة الي السورة او الآيات القريبة، فمن شاء اتخذ الي ربه سبيلا اي تقرب

شاء ان يتخذ اليه سبيلا اي وسيلة توصله الي ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى
وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان جميع مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر
الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون علي تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى
تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء
وقرئ الا ما يشاء الله، وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية علي اساس العلم والحكمة والمعنى
انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته، وقوله تعالى
يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة علي علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها
وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الي دخول الجنة من الايمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الي خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج
نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا
لهذا المضمر وقرئ بالرفع علي الابتداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه علي الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من
الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره متتابعة فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف
اخر نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل
بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الي الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع
ونشر النفوس والفرق علي الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من
الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة علي استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو
جيء بها علي ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح
عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات
ففرقن كل صنف منها من سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به كما قال
فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الي الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها
واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الي الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله
اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الي رسول الله عليه السلام فعصفن سائر الكتب بالنسخ
ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف
اما نقيض النكر وانتصابه علي العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء
عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه علي الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا
الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما علي البدلية من ذكرا او علي العلية وقرئا بالتثقيل، انما توعدون لواقع
جواب للقسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة، فاذا النجوم طمست محقت او ذهب
بنورها، واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا، واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف

ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مكانها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت
مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره
اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت
مقدر بقول هو جواب لاذا او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت
الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك ما يوم الفصل ما مبتدا وادريك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع
الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة
بيان كون الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده
عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به
الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد
وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم
السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك
والمراد بالآخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عم كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع
نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله وانبيائه
وليس فيه تكرير لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا العذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين
اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة
تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه وقرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة
ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل
الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا
تكفت احياء كثيرة على ظهرها واموات غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء واموات لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات
وقيل انتصبا بها على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء واموات وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات
طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كجذع واجذاع وجذوع واشهر معلومات
وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ
للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ
الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب
كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من
دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلث لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم ولان المؤدي لهذا العذاب هو القوة الوهمية
الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره

ولذلك

ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا
يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها
وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ
كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل
وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل
يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع
جمال وجمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفن وقلوس الجسور تشبيه
في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم
لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء لا ينفعهم فان ذلك كلا نطق
وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في
سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد عم والاولين من الامم
وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعبدونهم حاضرون وهذا
تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في
فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك نجزي المحسنين اي في
عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب العظيم وهم بقوا في العذاب
المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا
لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة
على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان حالهم وقرر ذلك بقوله
ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه
من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يصلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله عم ثقيفا بالصلوة فقالوا
لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا
يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فباي حديث بعده
اي بعد القرآن الناطق بالآيات والاخبار الناشئة على الاعجاز المؤسس على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله عم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة عم يتساءلون مكية وهي اربعون او احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف منه الالف لما مر فانه في الاستفهام وغيرها او قصد اللحن لكثرة استعمالها وقرئ على

ويل يومئذ للمكذبين حيث تطلعوا ان لا نجاة لهم
من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب

الأصل وما فيها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أي عن أي شيء
عظيم الشأن يتساءلون أي أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكارا واستهزاء لكن لا على طريقة
التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب
حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب
وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أي يدعونهم والتحقيق أن صيغة التفاعل في الأفعال
المتعدية موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع المسند
الفعل إليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر
وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور
أو واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول
عم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك
تتمارى وقوله تعالى عن النبأ العظيم بيان لشأن المسئول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم
منزلة المستفهمين كأن إيراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج
عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب
عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها
مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل عن متعلقة بالمذكور وعم متعلقة
بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والأظهر أنه مبني على إجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل
لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ
الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره إثر تأكيد وإشعارا
بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أي هم
راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن
بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعاد من
كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم
من ينكره لإنكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات
بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال
الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فإنه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له
إذ عليه يدور الردع والوعيد لا على اختلاف المؤمنين لهم وتخصيصها بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون
بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عم بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد
حسبما ذكر في التساؤل فإن الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال
والتناضل إلى غير ذلك يجري في كل واحدة منهما ما يجري في الأخرى لا مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحقوا
الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق

من المخالفة المؤاخذة بل لمخالفته له عم كلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم
بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع
ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت إلى قوله تعالى
ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن التصريح بالوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي
والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد
والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني
للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد
لا على تقدير قل لهم كما توهم فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا استئناف
مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح
أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة
للمبالغة في الإلزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له
فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها إرساؤها بها كما يرسى البيت بالأوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي
بلم داخل في حكمه فإنه في قوة أما جعلنا إلخ أو على ما يقتضيه الإنكار التقريري فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا إلخ أزواجا
أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا
أي موتا لأنه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الإحساس والحركة لإراحة القوى الحيوانية
وإزاحة كلالها والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه
كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق
المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار
معاشا أي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له ونحو ذلك
مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا
أي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الدهور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة
القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق إليه فإن ما حقه
التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا الجعل بمعنى الإنشاء
والإبداع كالخلق خلا أنه مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضا
كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة إلخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وأيا ما كان ففيه إنباء عن ملابسة مفعوله بشيء
آخر بأن يكون فيه أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان أو مستقرا
لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى واجعل
لنا من لدنك وليا الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله

قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخر لكان صفة وقد جوز أن يتعلق بمتعقب أي باعتبار الحد مرصادا للمؤمنين مآبا للطاغين خاصة
ولا يحتاج بعده فان البناء من كونه مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقيل الحد مرصادا لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ
منهم واحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة أي لأن جهنم للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين
وقرئ لبثين وقوله تعالى أحقابا ظرف للبثهم أي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية فان
الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها وليس فيه ما يدل على تناهي تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب
ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا فالجملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم
لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما
وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء أي يجزون بذلك جزاء
وفاقا ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا
أي لائقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم وكذبوا
بآياتنا الناطقة بذلك كذابا أي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من فعّل
شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب نحو صدقتها وكذبتها والمراد به فعله كذابه وانتصابه إما بفعله المدلول عليه
بكذبوا أي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا
وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة
لمصدر كذبوا أي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الأشياء التي من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره أحصيناه
أي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لأحصيناه فان الإحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر
أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وإيراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما
لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عليه السلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل
النار إن للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أي إن للذين يتقون
الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى
حدائق وأعنابا أي بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب أي نساء فلكت ثديهن
أترابا أي لدات وكأسا دهاقا أي مترعة يقال أدهق الحوض أي ملأه لا يسمعون فيها أي في الجنة وقيل مع
الكأس لغوا ولا كذابا أي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف أي لا يكذبه ولا يكاذبه
جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازا فانه في قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من مزيد التشريف ما لا يخفى عطاء
أي تفضلا وإحسانا منه إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف
أو بولغ فيه من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسّابا بالتشديد على أنه بمعنى
المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والأرض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل
صفة للأول وأيا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة إشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا

استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء بحيث لا يكون لأحد
قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على أنهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للأول وقيل الأول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون
خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للأول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الأول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر
للأول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به والأوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثاني نعتا
للأول ولا يملكون استئنافا على حاله وفيه ما ذكر من الإشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع والمنصوب
مدحا تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعا عنه إعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الأول
على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير
لا يملكون لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في
شيء ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده
وقيل ليس في أيديهم مما يخاطب الله تعالى به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه أو ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين
وقيل هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا
والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي عليه السلام أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل يأكلون
الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد فقالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله
البغوي وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أي مصطفين وقيل هما صفان
الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل
يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون
العائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء
ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى
لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدروا أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من
أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أي حقا فكيف يملكون خطاب الله تعالى
مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه وأما الاستدلال به على أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا
أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال
فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا للا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل إلا من أذن الخ منصوب
على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أي حقا هو التوحيد
وإظهار الرحمن في موقع الإضمار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه تعالى ذلك إشارة إلى
يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله
الرفع على الابتداء وخبره ما بعده أي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على
التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق أي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء
في قوله تعالى فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعه جوابا وكون مضمونه
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بحسب القاعدة المستمرة وإلى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل

كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك
بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أي سبيلاً وتعلق الجار به لما فيه من معنى الإفضاء والإيصال كأنه قيل
من استطاع إليه سبيلاً إنا أنذرناكم أي بما ذكر في السورة الكريمة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها
وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذاباً قريباً هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إلى البعث وإن رأوه
بعيداً ويرونه قريباً لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين
وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فإنه إما بدل من عذاباً أو ظرف لمضمر هو صفة
له أي عذاباً كائناً يوم ينظر المرء أي يشاهد ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أي شيء
قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر
يا ليتني كنت تراباً ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معناه تمنيه يا ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف
أو ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده تراباً
فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال
خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً إقسام
من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس ومجاهد أو أرواح الكفرة
كما قاله علي رضه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أي يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ويسبحون
في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون
أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني
منزلة التغاير الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف
المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالإقسام من غير انضمام
الأوصاف الأخر إليه والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب ونصب غرقاً على المصدر بحذف الزوائد أي إغراقاً في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد قال ابن مسعود رض
تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها
حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب
نشطاً وسبحاً وسبقاً أيضاً على المصدرية وأما أمراً فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالسابحات
وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم أي يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية
والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه
وهو لتبعثن فإن الإقسام بمن يتولى نزع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من تلك الأمور لا محالة وفيه
من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون إقساماً بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزع بأن تقطع الفلك حتى
تنحط في أقصى المغرب وتنشط من برج إلى برج أي تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها

بعضاً في السير لكونها أسرع حركة فتدبر أمراً نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من
المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو بأيديهم
التي تنزع القسي بإغراق السهم وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون
أمرها أو بخيلهم التي تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب وتسبح
في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه وأياً ما كان فالذي يلوح
بثبات البعث هو الأول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بجواب القسم والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف
عندها الأجرام الساكنة أي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهي النفخة الأولى
[illegible]
وقيل الراجفة الأرض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة أي الواقعة التي تردف
الأولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفاً للبعث أي لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة
الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده
مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعاً لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى
حي إلا مات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام وقد جعل إضافة إلى الأولى كما هو وقيل يوم ترجف منصوب
باذكر فيكون الجملة استئنافاً مقرراً لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلعم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم
وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ
ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى أبصارها أي أبصار أصحابها خاشعة
جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب وقد قالوا إن حق الصفة أن يكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع
حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب
وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الأول عنواناً للموضوع مسلم الثبوت مفروغاً عنه وجعل الثاني
مخبراً به مقصود الإفادة تحكماً بحتاً على أن الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من
الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام والصواب
تخشيع القلوب موصوفة بصفة معينة غير مشهورة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موضع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب
يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير
كما في شر أهر ذا ناب فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة يوم إذ يقع النفختان
واجفة أي شديدة الاضطراب كما قال ابن عباس رضه خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن أماكنها كما
في قوله تعالى إذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون أإنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون
بالآيات الناطقة به إثر بيان وقوعه بطريق التأكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار
أي يقولون إذا قيل لهم إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أإنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة أي في الحالة الأولى يعنون الحياة
من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة
كقوله تعالى عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة
بمعنى المحفورة وقوله تعالى أئذا كنا عظاماً نخرة تأكيد للإنكار وتقرير للنفي بنسبته إلى حالة منافية له والعامل في إذا مضمر يدل

عليه ٢ ٣ ٥ ٥ دون اي أئنا لكنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر او الاستفهام وهي الاظهر
ونافرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي يمر به الريح فيسمع له نخير قالوا اي حكاية لكفرهم متفرع على كفرهم السابق
وفصل لتوسط قالوا بينهما الاخبار بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق
المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما
انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسرة اصحابها
الى الان تحقق فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تع فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام
النخرة الذي عبر عنه بالكرة فان مدار انكارهم استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي
صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي
راجع الى الرادفة وقوله تع فاذا هم بالساهرة بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اي فاذا هم احياء على وجه
الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم للموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي
ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض
وقيل هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رضه ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تع عليها قط خلقها
ح وقيل ارض يجددها الله عز وجل يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تع فيحاسب الخلائق
عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه
جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بلغة العرب على شفير جهنم وقوله تع هل اتيك حديث موسى كلام مستانف
وارد لتسلية رسول الله صلعم من تكذيب قومه بانه سيصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر
هذا اول ما اتاه صلعم من حديثه صلعم ترغيب له في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر
اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص فالمعنى اليس قد اتاك حديثه وقوله تع اذ ناداه ربه بالوادي
المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر
منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين
او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو
على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او
لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى
اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل
فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تع انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية
لانها ملاك الامر من خشي الله تع اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي صلعم بان يخاطبه بالاستفهام الذي
معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تع فاراه الاية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها
في السور الاخرى فانه صلعم ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل هو بعد ما جرى بينه وبين الله تع ما جرى من الاستنباء والاجابة وغيرهما
من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها

ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها وادعى سحريتها انما كان اراءة
منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عم بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تع ولقد اريناه اياتنا
بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى
كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي
باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها
على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين من الايات التسع انما ظهرت على يده بعد ما غلب السحرة على
مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب عليه
فكذب موسى عم وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان
واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وجل
وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر
فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اي يجتهد في معارضة الاية او ادبر ثم اقبل اي
انشأ يسعى موضع موضعه ادبر كما يستعمل وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه لما القى
العصا انقلبت ثعبانا اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل
انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت
ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا يا بني ان ذلك كان قبل الاصرار
على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تع فحشر اي جمع السحرة لقوله فارسل في المداين
حاشرين وقوله تع فتولى فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والاته وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس
فنادى في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي فقال انا ربكم الاعلى وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه
الله نكال الاخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من راه او سمعه
ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله تعالى
به نكال الاخرة والاولى وهو الاغراق في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال
لا وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الاخرة والاولى
واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك
لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل
المراد بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون
سنة فالاضافة اضافة السبب الى المسبب ان في ذلك اي فيما ذكر من قصة فرعون وما
فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اي لمن من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة وقوله تع ءانتم اشد
خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال
سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تع فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب
في تقديركم ام السماء اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها

كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن
يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان لفضل الحكمة فيه خلقها كما يستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف
عليه من الأفعال من التنبيه على تعيينه وتعظيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض
وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت
ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان
إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعلها مظلما يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه الله وقد جاء
في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه
أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن
إضاءته بالإخراج فإن إضاءة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران
حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى
لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد ذلك دحاها أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها
وتقلبهم في أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا ومرعاها
أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتفسير
لدحاها وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما
وإما لأنها حال من فاعله بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما في قوله أو جاؤكم
حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق
وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل
هو بإرسائه عز وجل ولولاه ما ثبتت في أنفسها فضلا عن إثباتها الأرض وقرئ والأرض والجبال بالرفع على الابتداء
ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الإرساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل
والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء
وما فيها كما روي عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم
أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
الآية وقد مر في سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء
وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة
البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم
خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل خلق السموات
والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة
فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم إن الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه خلق جرم الأرض
يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق
آدم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما
ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل البعدية على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب

والعجم لا في الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم فحذف على شريطة التفسير لا إذا ذكر بعده ليفيد القصر
ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال
السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم
بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض
معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو وهي لا تدل على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر
في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة
فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة
البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم ولأنعامكم إما مفعول له
فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى أنعامهم
فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة
المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها
ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات
أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى المحشر وقيل التي يساق فيها أهل
الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله متاعا لكم ولأنعامكم والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الإنسان ما سعى بدل من إذا جاءت
والأظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسير للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف مما يوهم تعلقها بالجواب
ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لإضافته إلى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر
بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز
أن تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت أي أظهرت إظهارا بينا لا يخفى على أحد لمن يرى كائنا
من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن
فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد أو على أنه خطاب لرسول الله عليه السلام أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى
فأما من طغى الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب
المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل
أن الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أي فأما من
عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحياة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما
متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة فإن الجحيم التي ذكر شأنها هي المأوى أي هي مأواه
واللام سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام
في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معرفان وهي إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وابنه
الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والعصيان وأما من خاف مقام ربه أي مقامه بين يدي مالكه يوم الطامة
الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا
وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فإن الجنة هي المأوى له لا لغيرها وقيل نزلت الآيتان

في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلعم حتى استشهد رضه هذا وقيل جواب اذا
ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا
من الانسان باضمار قد او مبرزة على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الى تفصيلا لحال
الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيم له بحسب حاله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها
كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين
عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها او تعلمهم به حتى يسالونك بيانها كانك حفي عنها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين
وقتها في شيء الا ان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثره بعلمه علام الغيوب ومن جملة بصدد
التعليل فان ذكراها لا يزيدهم الا غيا فقد تاتي عن الحرج وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل
للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت
خاتم الانبياء والمبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة
من العلم فيكفي قوله تعالى الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت
وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم
عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسالونك
عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق
لما هو المراد منه وبيان لوظيفته صلعم في ذلك الشأن فان انكار كونه صلعم في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره انه ليس له صلعم
ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه صلعم ذكراها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسالونه عنها
فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا
لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسالونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير
لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله صلعم وهو خاتم الانبياء صلعم منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله صلعم بعثت انا والساعة
كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد
الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم
فانهم كانوا يسالون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث
في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم
والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة مفعول المنذر كان قوله تعالى كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة فلان الخ
هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها الخ

في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنف لا محل له من الاعراب عن رسول الله
صلعم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة تمت

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم ام ابيه
اتى رسول الله صلعم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك
وهو لا يعلم تشاغله صلعم بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا
رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان
جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على
قطع كلامه صلعم بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات
في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه
وقوله تعالى لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارج عن
دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق
التزكي على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه صلعم للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف
اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى
منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب
على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله
للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك
ان ذلك مرجو الوقوع واما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن
فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له صلعم عن
مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيمهم وقرئ تصدى بطرح التاء اي تتعرض ومعناه يدعوك الى
التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى اي وليس عليك باس
في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية
للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما
عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى
الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت
عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى اي تتلهى وفي تقديم ضميره صلعم على الفعلين
تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته صلعم اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب
للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه صلعم بمضمونهما روي انه صلعم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى
لغني كلا ردع له صلعم عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما

وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد

من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بامره طمعا في اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تع انها تذكرة اي
موعظة اي يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق
ان شانه ان يكون موعظة حقيقية بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تع فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به
ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل
الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها بمعنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات
وان كانت متصفة بما سياتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سبق
من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطا واساء
الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تع في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة
وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة
عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة
اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون
بالوحي بينه تع وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه
وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على الصحابة رضه
وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة
قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها قال القرطبي ان
المراد بقوله تع لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل اعزاء او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم
ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تع من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه
قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تع ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه
والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه
له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية
وراءه وقوله تع من اي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من
فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدا خلقه ثم بيانه بقوله تع
من نطفة خلقه تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تع ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي
ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما
وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا
على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه
وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره
على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تع ايذان بان وقته غير
متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تع لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي
لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تع باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما كذا

قالوا

قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآية الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط
الموجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال
ع م شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تع فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم
اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند
الى الكل كما في قوله تع ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض
جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد
اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله تع فلينظر الانسان الى طعامه شروع
في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرنا
وقوله تع انا صببنا الماء اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل
عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة اي كيف صببنا الماء صبا عجيبا ثم شققنا الارض
اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على الكراب بجعل الكراب
الى نوع العظمة من قبيل اسناد الفعل الى السبب ياباه كلمة ثم والفاء في قوله فانبتنا فيها حبا فان الشق
بالمعنى المذكور لا تترتب عليه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الذي بين الامطار و
الشق بالنبات على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من
الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة
على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تع على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد
الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المكلف بينها مخل بالمرام وقوله تع وعنبا عطف على حبا وليس من
لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض
وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام
فيهما وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات
اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب
لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضه انه سئل عن الاب فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضه انه قرا هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا
فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك
تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان
واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم
متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي

الى يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصف بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي
الصيحة التي تصخ الاذان اى تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بحجر اى صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل
بدل من اذا جاءت كما في قوله تعالى يوم يتذكر اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله
بنفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل
يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه يفر قابيل من اخيه هابيل
ويفر النبي عم من امه ويفر ابراهيم عم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما روي ان الرجل
يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى يهمه من عناه
الامر اذا اهمه اى اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل فقوله
وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء
فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح
اذا اضاء وعن ابن عباس رضه ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما
تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى تعلوها وتغشاها
قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم
في سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله
الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك رفعها وازالتها من مقرها
فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء او لف ضوؤها المنبسط في الآفاق المنتشر
في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضه تكويرها ادخالها
في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل الفعل المضمر يفسره المذكور وعن بعض
على الابتداء واذا النجوم انكدرت اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي ان ابن عباس رضه انه لا يبقى
يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور
فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى
ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت
اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة الى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار عطلت وهي النوق التي اتى
على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت

تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات
وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اى جمعت من كل جانب وقيل بعثت
للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
من سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اى احميت
او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم
لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت
قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة
بالشياطين واذا الموءودة اى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من
اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها
الى الصحراء وقد حفر لها حفيرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة
فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت
باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب
والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها او
سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين
سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها
وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج
بالآية واذا الصحف نشرت اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلعم
انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة
قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها
عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السماء
كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت
واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اى اوقدت ايقادا شديدا قيل
سعرها غضب الله وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اى قربت من المتقين
كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اى فيما بين النفختين
وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص
وست في الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان
واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين
الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي
بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها
بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها

اما حضور صحائف الاعمال فلما مر انه تنشر فيها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي
تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله تعالى في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم
ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس
وقد روي عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
واياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكأنها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة
فان كانت صالحة تشاهدها على صورة احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو
فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هنا لانها كانت مزينة
لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته
لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة
تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة
الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل
عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب
فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل بان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه
فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل
للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصاره في مرتبة من مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما نحن فيه
فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى
يقصد به المبالغة والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار
بانه اذا علمت نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي التي
علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم
الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان الندامة متوقعة الوجود لا يتيقن به او نادرة الوقوع بل تريد ان
العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم
بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل
وعطارد والزهرة والمشتري ووصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى
تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد

كذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا
وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس
لانه اول النهار وقيل ادباره اوفق من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم
فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول
رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء
طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة
رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن امره
ويرجعون الى رأيه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا
لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله عليه السلام بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة
للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل
جبريل عليه السلام للتباين البالغ بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله
كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله عليه السلام جبريل بالافق المبين
بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله عليه السلام على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين
اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان
رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه
في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول
لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم
وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة
بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة مشيئة مستتبعة
لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة
فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء
فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت
متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت
البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن
وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج
موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت
جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى

ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده كذا قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة ما قدم من اموال الصدقة وما اخر فتركه وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة الطامة وما سيكون ح من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفك عن خلقة غير ملائمة وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تنتفعون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصورته فهو فوقها وكيفما تخيلته فهو اطم من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين

على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هنا ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر مرارا ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في جوابه كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون او ليس باذكر فانه عار عن افادة ما افاده قبله وقيل انه بدل من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل يجوز الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وقيل وايا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء حقير طفيف روي ان رسول الله عم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله عم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى آخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فيأباه اقتضاؤه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم ما لم يكن لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم ويقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في مقام التحقيق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمله على اخذ ما لهم عليهم معنى ما يسكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون الكيل لهم حالا وما لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه

لما ذا كان الكيل عليك يخاله فكان الحرث ما عليك واذا كان الكيل منك فكقوله استوفيت منك فتامل ويجوز
ان يكون على متعلقه بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لخصوصيته اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور الصاحب تعلقه به فيفيد التقديم
قصره عليه بطريق القلب او الافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو
عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان حدث
واقع في الفعل لا يجماع وقع عليه ضد بزو الضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا
لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد
جنيتك اكموءا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق في آية التنزيل ولعل ذكر
الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين
من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام
لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه
موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير
فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها
اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون
بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدره عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة
والخردلة فان من يظن ذلك وان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف
بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون
او مرفوع المحل خبر المبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح للاضافة الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين
ويؤيده الاخيرين القراءة بالرفع والجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه
لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب
الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان
الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن
وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان
مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم
او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادريك ما سجين
تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من
رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم للمكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل
يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون
بيوم الدين اما مجرور على انه ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد

اثيم اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدة
للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخرجة الفانية بحيث شغلته عما وراءه من اللذات التامة الباقية
وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا
عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة
وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا تتلى بتذكير الفعل وقرئ اذا تتلى بالاستفهام
الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون بيان لما ادى بهم من التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالة
الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدا في المرآة
فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء
حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران
فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون
يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي
الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به
تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين الخ
استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد
للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة و
صلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات
في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم كما مر نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون
بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار
على الارائك اي على الاسرة في الحجال والارائك لا تطلق على الاريكة على السرير الا عند كونه في الحجلة ينظرون
اي الى ما شاؤا وامتد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجبهم الحجال عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه
والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء
يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين
ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم
به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون
واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه

دون رؤيته

نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء
النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على
ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية
او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم
من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا
من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء اما زائدة او
بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا اي في الدنيا
من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار
والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك
على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم
وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم
الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى
من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل معناه فكهين اشرين وقيل فرحين فاكهين متفكهين
وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم
ومن غيرهم الى الضلال بطريق التوكيد وما ارسلوا عليهم حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهته
الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا
عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف
ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من المعهودين وهو
الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة
والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون
لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم
ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم وقوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك
المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ با
دغام اللام في الثاء عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها
واستمعت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر
المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وفيه تقرير جملة ونظيرها الآية المذكورة قوله تعالى أتينا طائعين في الا

في كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي
جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد ولكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به
والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من حيث هي بل خصوصية
القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها
لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت
ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه
كأنها تتكلف في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي بالانقياد كذلك
بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعها في الوقت للتهويل الذي هو مدلولها
فتقديره يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت
باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه
فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا الآية قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى اي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور العبارة عن بيانه او للتعويل
على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى
الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول وقيل يسيرا
سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله
مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور
والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي يتمنى الثبور
وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك وانى له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها
وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ يصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا
مسرورا اي فرحا بطرا مستبشرا كدأب الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب
ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى
انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق
وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من
رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاشد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق
هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة
القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل
ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن

حال بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب
المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من
مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة
الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة
لطبقا او حال من الضمير في لتركبن بمعنى مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله
فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود
اي اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته
وقوله واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم
حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عم ذات يوم واسجد واقترب فسجد
هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضه
ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رضه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رايت النبي عم يسجد فيها
وعن انس رضه صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هي غير واجبة بل الذين كفروا
يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته
والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال
السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا تفصيليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور
موجب لتعذيبهم حتما الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة
ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف
مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره تمت السورة الكريمة

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور
واليوم الموعود اي يوم القيمة وشاهد ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب
وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلعم
والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الآية وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية
ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا ينادي
اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم
وقيل الانبياء ومحمد عم قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها
بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب
كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه

من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى ياتسوا
بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء
بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق
روي انه عم قال كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات
يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك
فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع
الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب
به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده
عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة
عمر بن الخطاب رضه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران
فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد
ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف
ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود
وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عم فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر
ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود
وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله
تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة
قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا
المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى
هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا
منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ من اعم العلل على طريقة
على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى
عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بما به يجب

ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمالهم
الموبقين يستدعي توفيره جزآء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد
بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب
على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الذين لا يتصور
من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة واقعة خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو
الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب
جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري
من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها
فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما ينبئ عنه اسم الجنة وقوله تعالى ذلك
اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر من الاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي ينبئ
عنه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا
لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده
قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور
العظيم الشأن الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر
والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد
استئناف خوطب به النبي عم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه
او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم في
ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة ربك او العرش ومجده علوه وعظمته فعال
لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث
الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة الطغاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عم بالاشعار
بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود والمراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي
في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون
الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان
لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب
العقاب فانهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او بالنبي عليه السلام مع ما يشاهدون من عدم التذكر والاتعاظ بما

بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل
يكذبون ما نطق به قرآنا من عند الله مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر
كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي
قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح
وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن النبي عم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا

سورة الطارق مكية وهي سبع وعشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء بالليل قال الماوردي واصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل
كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة
مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج فالمراد هنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود قيل الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه
على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من خلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره
والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء
في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا
لا محالة واما كوكب معهود قيل زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق
حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف
غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه ادراك الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال
محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب القسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة
المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ
مهيمن رقيب هو الله عز وجل كما في قوله وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ اعمالها ويحصي عليها ما تكسب
من خير او شر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة
وما مزيدة اي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على
ما يتبين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل موجب على الانسان ان يتفكر
في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته
بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجزيه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء
دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل من ماء ذي دفق وهو صب فيه

دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها
مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك
تشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه
اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي تتعرف وتتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات
وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان من
قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينتصر به والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان
السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان
الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او تصدع من المني للمفعول او هو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق
بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وعن
تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا تشققها بالعيون انه اي القرآن
الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل بين
الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض
لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره
واطفاء نوره كيدا حسبما يقدرون به واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون
فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا
وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم
امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود
بالضم والسكون كما انشد كأنها مثل من يمشي على رود اي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجه
آخر وهو ان يكون اسم فعل نحو رويد زيدا او كونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل
التكثير وتصغيره برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه
ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه
وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون

في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح
على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
قوله تعالى والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او
اختيارا او يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات فلو تتبعت احوال النباتات
والحيوانات لرأيت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينيها
بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها
حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى ويروى ان
التمساح لا يكون له دبر وانما تخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك
فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه
هذا واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية
فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب غضا
طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة
والري فجعله غثاء بعد ذلك قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته
العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين
والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن
الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة
فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع
ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف
لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى
مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان على حسب ما تقتضيه الجبلة
القلة والندرة كما روي انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي
النسيان رأسا فان القلة تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان ح النسيان بالكلية اذ هو المنفي راسا الا ما فلا تنسى
ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي
ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية
وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى
ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها
كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما
وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق
بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك

واصعدهم الى ما يخص نفعا بجميعه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله
ﷺ طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر ﷺ بان
يخص التذكير بموارد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا او
نفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين
واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا
منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه ان
يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به
وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فان الذكرى
لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فالآية
والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي ﷺ وقيل نزلت في الوليد
بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم و
الصغرى نار الدنيا لقوله ﷺ ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلي قد افلح
اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره والتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى
من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن
الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى
اي اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها
والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر ومما لا يخلو عنه
الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد
التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة
خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة
خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان
تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد
افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابراهيم
وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي ان جميع
ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى
ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اي قد جاءك
يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار
بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان تتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية
الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب
وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيرد
من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله تعالى مبثوثة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته ﷺ ما اتاني حديثها
ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت [illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه ﷺ حديثها فاخبره ﷺ عنها
فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لان المقام مقام التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران
آخران اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض
الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي يومئذ ناصبة
منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر
للوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات للوجوه وقد عرفت ان القصد هنا ان تكون جملة الاخبار الى الموصوف عند
السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب
الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع مبتدأ من دعاء عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم
بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبنيا على سؤال نشأ من الوصف تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر
كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك
ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام
يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين
لآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء
يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم
شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا
من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من
البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما
في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم
الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل و
استغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه
في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي
انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي

وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير جوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لما ان اعادة الفوائد اصل المتوصل بها الي النفع
بنفع كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الي ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن جوع اياه بخلاف العكس ولم يكف
كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالي وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية حسن حال اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل
الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في
اعراب الجملة كالكلام في تركيب نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعني ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله
تعالي تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة
عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو
فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع علي البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة
تجري مياهها كقوله تعالي علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء
لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الي بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الي الابل كيف خلقت استيناف مسوق للتقرير بما فصل من حديث الغاشية
وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ
والفاء للعطف علي مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالي كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة
في حيز الجر علي انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة
الله عز وجل فلا ينظرون الي الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الي انها كيف خلقت خلقا بديعا عادلا به
عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب صفاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها
من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الي الاقطار النازحة وفي صبرها علي الجوع والعطش
حتي ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها كل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه
سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء
ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والي السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا بعيد المدي
بلا عماد ولا امساك بحيث لا تناله الفهم والادراك والي الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها
كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والي الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت
سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امورهم عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئ الافعال
الاربعة علي بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعني افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الي كيفية خلق هذه المخلوقات
الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة
والفاء في قوله تعالي فذكر لترتيب الامر بالتذكير علي ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر علي التذكير ولا تلح عليهم ولا
يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالي انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالي لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق
لمعني الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم علي ما تريد كقوله تعالي وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين علي الاصل وبالاشمام
وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالي الا من تولي وكفر استثناء
منقطع اي لكن من تولي منهم وكفر فان لله الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل
من قوله تعالي فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولي فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضده الامر

انه في الاعلي التنبيه وقوله تعالي ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالي بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث
لا الي احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معني من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها
وقرئ ايابهم علي انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب ككذاب من كذب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان
ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولي في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا علي غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان
فان الترتب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالي وحسابهم عليه تعالي فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين
بان وتقديم خبرها وعطف الثانية علي الاولي بكلمة ثم المنبئة عن البعد في الرتبة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد
العذاب ما لا يخفي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالي حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال عشر هن عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة علي ان المراد بالعشر الايام
والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي عليه السلام فسرهما بيوم النحر
ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد
وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالي والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس
والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة علي كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلي المقام اي صلي فيه وحذف
الياء للاكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها علي الاصل وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر
والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم اي تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها
وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه علي ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان
يؤكد به الاخبار علي طريقة قوله تعالي وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الي الامور المقسم بها والتذكير بتأويل
ما ذكر كما في حقيقة او الي الاقسام بها واياما كان فما فيه من معني البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف
والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد
تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك
الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه
من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهي وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال
الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه
قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم
المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد علي طريقة قوله تعالي الم تر الي الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالي
الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب
هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولي ولاواخرهم عاد الآخرة
قال عماد الدين بن كثير كلما ورد في القرآن خبر عاد الاولي الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالي ارم

عطف بيان لعاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم وارضهم
التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم
باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات
العماد الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على ان ذات العماد اسم بلدتهم وقرئ ارّم ذات العماد اي جعلها الله رميما
بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان
شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة
فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في
طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله
فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة
اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجسام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة
العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده
الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن
سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين
جابوا الصخر بالواد اي قطعوا الصخر والجبال فاتخذوا بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد
وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله
فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك
الطوائف عقيب ما صدرت منه من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا تدرك
غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى
ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته
واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه
بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع
المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم
من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منها لغة فلا حاجة في تشبيهه بالمصبوب
الى اعتبار تعلقه بالمضروب كما في المعنى الاول فان كلا منها من جنس المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى

ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ
عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترتب
فيه الرصد جمع راصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما
الانسان الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه
ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار
والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه
والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان
والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه
بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه
اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن
ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين
والتوسعة قد تفضي الى خسران الجانبين وقرئ فقدّر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن
بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له في كلتا الحالتين قال
ابن عباس رضي الله عنهما لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء وحمل الردع و
التكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله
والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيدا
للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم
على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون
بحذف احدى التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون
من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتاكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم
اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله
تعالى اذا دكت الارض دكا دكا استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا
حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك
حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء
وايا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند
حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا
اي مصطفين اي ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين
بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل
زمام معه سبعون الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش ورواه مسلم في صحيحه عن ابن
مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره

واحكامه او معاينة عينه على ان الاعمال تجسم في النشاة الاخرة فيظهر كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصورة الحسنة
والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اخره احتج به الجبائي انه ليس تذكر حقيقة لو آنه عن جبر ويعلم وقوعه فانه
وانى خبر مقدم والذكرى مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل عنها كذلك
مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له
على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يوجب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سوال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول
يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة
دلالة على استقلال العبد بفعله واما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما
ان ذلك محض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان
ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد
جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعليه يدور رحى التكليف والالزام والحجة
فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاهوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى
عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ
الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق
بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله تعالى وطاعته اثر حكاية
احوال من اطمأن بالدنيا ووصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدا للوجود الواجب
فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شئونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة
الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن
ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عم او على لسان
الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى
موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي
الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم وانتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية
كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي
وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضه
والظاهر العموم عن النبي صم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة
المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه عم بجعل حلوله به مناطا لاعظامه
بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال بان

صلعم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتوصلوا اليه بالاخراج وهموا بالمثالوة عن شرحبيل
يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسلية عم بالوعد بفتحه
على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد
كان كذلك حيث احل له عم مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل له عم فيها ما شاء وحرم ما
شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال
العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عم الا الاذخر ووالد عطف على البلد والمراد به ابرهيم
وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى عليهم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشا اسمعيل
ومسقط راس رسول الله عم والتعبير عنهما بما دون من للتعظيم والتعظيم كالتنكير والدوا اريد بهم بنو آدم الوالد آدم ثم التعميم لمضمون
الجواب وايما الى انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عم ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله
للكل الا ان التعظيم المستفاد من كلمة ما لا يرى فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان
في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد
الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبده بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله عم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى
ايحسب لبعضهم الذي كان عم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي
وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا المارد القوي المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة
من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت
مالا لبدا اي كثيرا ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يسائله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره و
وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير
والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة
وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام
العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي
مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه
الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة
محله لاشتراط الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات الرحمة من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه

من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة
المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب
المشأمة اي الشمال او الشوم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بهمزة
من اوصدته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وتمام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال
النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تنجلي عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع انه الذي يبسطه او جلى الظلمة
او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فتغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما
كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك
اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها اي ومن بناها
وانما اوثر ما على من لارادة الوصفية تعظيما كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية تخل بالنظم الكريم والكلام في قوله
والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالها
والتنكير للتعظيم على ان المراد نفس آدم او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها افهمها اياهما وعرفها
حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من
زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام
وتكرير قد في قوله وقد خاب من دسيها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اي خسر من
نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضي وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها بطريق
الاستطراد واما الجواب فمحذوف تعويلا على دلالة قوله كذبت ثمود بطغويها عليه كانه قيل ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله وقد
خاب من دسيها والطغوى بالفتح الطغيان والباء سببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته
على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها
بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالحسنى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو
قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به فقال لهم اي لثمود رسول الله
اي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة
الناقة اليه تعالى في قوله ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها فكذبوه اي في وعيده بقوله تعالى
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ويجوز ان يكون ضمير لهم للاشقين والافراد لذكر سقياها فعقروها اي الاشقى
وجمع على تقدير وحدته لاضافة الفعل الى الكل لرضاهم به قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء
عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة

اذا البسها

اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب
فسويها اي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها في الهلاك ولا يخاف
عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك لانه تعالى لا يفعل الا
بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه ذلك والواو للحال او للاستيناف وقرئ فلا يخاف
وقرئ لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى
ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم القدرة الذي
خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل
ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما من
اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بكلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي
ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول
الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى
اي زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى
اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته
لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى
والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء
وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ينفي
او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في حفرة
القبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر لما قبله اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة
حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا
ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية
هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما
كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان
لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركهم للاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من
تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصليها
صليا لازما وقد صرح به بقوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي
واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور

فلا يدخل في تحصيل السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تع يتزكي اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة
لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تع زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما
لاحد عنده من نعمة تجزي استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تع اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها
ان تجزي وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تع الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع
على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم
المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضه
انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر بالنبي عم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضه ان
بلالا يعذب في الله فعرف مراده عم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني
بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر رضه الا ليد كانت عنده فنزلت وقوله تع ولسوف
يرضى جواب قسم مضمر اي والله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى
وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله عم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام لانها الساعة التي كلم فيها موسى عم والقي فيها
السحرة سجدا لقوله تع وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تع ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا
والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر
الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تع فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تع ما ودعك ربك جواب
القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء
عنه بذكره من قبل وللقصد الى نفي صدور الفعل منه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله عم
اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وتبشيرا له عم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبي عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميره عم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلي انه تع يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه السلام بان ما سيؤتيه
في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق
وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يوازيه فضل لكنه
لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه مما اعد له عم في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء
والرسل يوم تجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء
مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل
المراد بالآخرة عاقبة امره عم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تع ولسوف
يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تع في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور
الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عم وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة

والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ومما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله تع وقد انبا ابن عباس رضه عن شمة منها
حيث قال عم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف
تقديره ولانت سوف يعطيك لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان
الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استغني عنها ههنا لان
احد بها ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول
الفعل كقوله تع لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم
بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله
تع وللآخرة الخ وقوله تع الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عم من اوائل الامر الى ذلك الوقت من فنون
النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي
وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة
ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن
ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تع عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو
اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تع ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق
كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع
التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تع ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة
فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى
الله تع فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا
بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عم قائم تحت شجرة يلعب
بالاغصان والاوراق وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب
وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب روي ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق
فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي
اليك من الكتاب الكريم المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي
فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة رضه او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك
من الغنائم قال عم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على
ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا
قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم
فيقول ابتغون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها
واشاعتها واظهار آثارها والمراد بها ما افاضه الله تع عليه عم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة
الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تع وهداك واغناك فمهما يكن
من شيء فلا تنس نعمة الله تع عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تع واحسن كما احسن الله اليك فتعطف
على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله تع كلها حيث كان معظمها النعمة

النبوة فقد انزاح بحث الا بهدايته عن الضلال وتعليمه للشرايع والاحكام بما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى ممن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات
وغيرها تجربته حيث عن توسيع دايرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى
حوى عالم الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس
انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل
اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما ظهر
له عم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من
الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر
بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت
وروده فضل تمكن وقوله تع ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا
صدرك ووضعنا اليه وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة
والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه تخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبئك
الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض
من ثقل الحمل مثل به حاله عم مما كان يثقل عليه ويغتم من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من
تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ
وحططنا وحللنا مكان ووضعنا وقرئ حللنا عنك وزرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة
واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تع في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى
وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسماه رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك
كالذي سلف وقوله تع فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد له بتيسير كل عسير له عم وللمؤمنين كانه قيل خولناك
ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تع ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة
مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون
الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ
وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب نفسك شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة فاذا فرغت من
صلوتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر
على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي رغب الناس في طلب ما عنده عن رسول الله صلعم من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين
فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل
ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه الان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن
ابي موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى
اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومعاذ
بن جبل شجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عم يقول نعم السواك الزيتون
من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان
من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين
حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل
الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت
المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وعن ابن عباس
التين مسجد نوح عم الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون
المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضه هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت
وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى
عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز
الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين اي الامن من
الرجل بانه فهو امين وهو مكة شرفها الله تع وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا
بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تع حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بجانب البقاع
المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اي جنس الانسان في احسن تقويم
اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه مستوي القامة متناسب
الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات
من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى
قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به
تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافعال الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح
الحيواني الذي هو اعدل الارواح والطفها واوجهها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القاهرة [illegible] وتلقيه
بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك
من الاعصاب ما يليق بذلك الفعل من مبادئه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة عرف نفسه على هذه
الكيفية من صفاتها وافعالها ينبغي له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه
داخلا في العالم او خارجا منه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يشتمل على شئونهم ما
ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تع ثم رددناه اسفل سافلين

اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل
بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
واسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه
مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء
متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون اي غير منقطع على طاعتهم
وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهو
على الاول مقرر لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك
بعد بالدين للرسول عم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى
ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث
والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان أليس الله باحكم
الحاكمين اي أليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه استبعاد عدم كونه احكم الحاكمين
بنفي الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله من العذاب عن النبي صلعم
انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى
خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة الشريفة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما
سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب انها اول ما نزل الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عم كما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتحقق مقارنته
لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره عم للاشعار بتبليغه عم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله الذي
خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات
العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق
واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر
المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ
هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول
الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى
والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله السر في تخصيصه بالذكر
من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية
ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته

تعالى بذلك اولا ليستشهد عم به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب
وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بيّنه عم من العذر بقوله عم ما انا بقارئ
يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امّي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم
الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما
وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر
بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه
والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره
للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا
الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي يطغى لان
رآه نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله
ضميري واحد كما في علمتني وقد جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد
رأيتنا مع رسول الله عم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال
لرسول الله عم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع
ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عم فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا
باصحاب المائدة فكف رسول الله عم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى
تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى
وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي الى مالكك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها
وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منه العجب روي ان ابا جهل
قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فرآه عم في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا
ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عم واستعظام النهي
وتأكيد التعجب منه والرؤية بصرية واما ما في قوله تعالى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى
ارأيت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري
الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك
الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس
في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من
عند الله ثم كفرتم به الخ والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه
ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية
او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يأمر به من
عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى اي يطلع على احواله

فيجازيه بحاصي اخبرني على ما فصل او ما اخبر التكذيب والتولي لشرطية مستقلة مؤذنة بجواب مصدرة باستخبار نقضا
ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفها عليه كما للايذان باستقلالها بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد
الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن
الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية
الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف
والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم
يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي
المنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي
حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا
بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع للناهي اللعين وخسوله واللام في
قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن
وكتبت في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة
خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدال النكرة من المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم
والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب
خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله عم وهو
يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله عم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني كأنه نسب الى الزبن ثم غير كانسي
واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي عم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا
كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك غير
مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن النبي عم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر
في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادريك ما ليلة القدر
لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر
خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وفي عدم
بيان كيفية اعراب الجملتين في اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء
الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عم على السفرة ثم كان ينزله على النبي
عم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها

كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل فيّ قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل فيّ قرآن فالانسب ان يحمل
الضمير للسورة التي هي من القرآن لا الكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها والاكثر على
انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك
اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما
للتكثير او لما روي انه عم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى
الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم
اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى
ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وكان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين
خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملئكة والروح فيها استئناف
مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هو خلق
من الملئكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله
اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله تعالى في تلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي
لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى
مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها
غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين
المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة القيمة مدنية وقيل مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من
الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين
اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث
في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح
علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا
من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله عم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عم
والانفكاك الفصل عن الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم
يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا
لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع
باعتبار حال المحكي كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عم بالبينة

للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار
صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عم من حيث
ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضمير ما في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة الجار
والمجرور وحده وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب كلام مسوق لغاية التشنيع على اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك
لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب
المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي عم وذكرهم فيما
سبق بما هو جار مجرى الاسم الجنس للطائفتين وانما كان هؤلاء المشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم
فريق واحد اخبر عما صدر عنهم بعنوان الاتفاق عن الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعن بيان كيفيته وقوعه بالتفرق اعتبار الاستقلال
لكل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف
القويم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات
الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال
انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله
مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في
الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله بالاخلاص
واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة
على تأويل الدين بالملة هذا وقيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عم من
انهم لا ينفكون من دينهم الى البعثة ويعدون ان ينفكوا منه ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل سببا
لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يغنيني
الله فيغنيه فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار
وانت خبير بان حمل الانفكاك على الانفكاك عن الباطل على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بالكلية ظاهر لان التفرق عن الحق
مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم
فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا وقوله تعالى ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم
اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم
يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم
لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشاة

بصورة عرضية وستخلعها في النشاة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف
خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت
عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما فيه من القبائح
المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية
شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما
ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالبرية على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن
احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك
المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع
خير نحو جيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعة عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما
عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية
والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عند الله تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة اليهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما
يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما تفضل
عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها
واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي
ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة
الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من
الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا [illegible]

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة
الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او
زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم
ناقة بها خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية
لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض
في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان
اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة
من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو
وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ

زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما
بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي عم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ
تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد
الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء
وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من مخارجهم الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون
عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا
وقرئ ليروا بالفتح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة
النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ولما كان مقتضى رؤية ما يعاد لها من خير وشر اما مشاهدة
جزائه فمعنى الاولى مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات
المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه جزاء ولا عدمه بل بنقيض كل منهما الى غير
الآية الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وحبوط حسنات الكافر ومعاقبته
بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه
واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي عم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع
حالا اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات
او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى
اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة
التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي وقت
الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون
وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن
به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا
ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ
فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او توسطن
ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسطهن الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة
المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب للقسم
والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله عم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر

بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا
للنبي عم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام
بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم
مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره
عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي لقوي مطيع مجد في طلبه وتحصيله متهالك
عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه
لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق
حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
للتهديد والوعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل من القبائح ما يفعل فلا يعلم حاله
اذا بعثر من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث
على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور
من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين
كنى عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره
بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه
ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم
وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر
ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه تعالى محيط بما كان وما يكون
وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابن السماك ان ربهم يومئذ خبير عن النبي عم
من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها
فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال
وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانتثار
والجبال بالدك والنسف وهو مبتدا خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدا لا
بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة
اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة
تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على ان معنى عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد
تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا
وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به
فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة

الواقعة خبر للمبتداء الاول اي واي شيء اعلمك ما شان القارعة ولما كان منفا عن الوعد الكريم باعلامها اخذ ذلك بقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتداء محذوف وحركة الفتح لاضافته الى الفعل
وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر الساعة
وتشويقهم الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس اه فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة
اي تقرع يوم يكون اه وقيل تقديره ستاتيكم القارعة يوم يكون اه وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي
كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض
ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان انكرت بعضها
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق
لله تعالى لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الى بيان اجمالي لتحزب
الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس رضه انه ميزان له لسان وكفتان
لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحايف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن
عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين
قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية
وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن
والقبح وقد روي عن ابن عباس رضه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع
اي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له
حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فماواه هاوية هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان
اهل النار يهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن الماوى بالام لان اهلها يأوون اليها
كما ياوي الولد الى الام وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول
هو الموافق لقوله تعالى وما ادريك ما هيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم
والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف
وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا
وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم

بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالآباء
حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى
ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ
الهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة
سوف تعلمون سوء عاقبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني
ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين
اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب
قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان
بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه
فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين
ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان
ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلث آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال الى الغروب كما اقسم بالضحى لظهور النبوة
وهي المراد بالصلوة الوسطى
لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران
في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات
الصالحات بالغاديات الرايحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ
بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن
آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها
النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا
التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما
يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك
بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتداء خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز

الطعن كالهمز شاع في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك
اللعنة والضحكة وقرئ لُمَزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل
نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول
الله صلعم وغضه من جنابه الكريم واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه
مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير ونكره للتحقير والتكثير للاولى
لقوله وعدّده وقيل معنى عدّده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين
ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب
ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه
الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض
بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا مخلد
وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستأنفة او حال من
فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين
لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شانها ان
تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال ونحوه وما ادريك ما الحطمة تهويل
لها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله نار الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان
لشأن المسؤل عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من
تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد
الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذية تمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال
السيئة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته في عمد ممددة
اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
او خبر مبتدأ محذوف اي هم في عمد ممددة او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد
على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم انا نعوذ بك منها وقرئ عُمُد بضمتين عن النبي صلعم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلعم والهمزة للتقرير اي قد رأيت باعلام ربك وكيف معلقة لفعل
الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة و
معاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك لتهويل الحادثة
والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسول الله صلعم
فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلعم وتفصيلها ان ابرهة
بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة

فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وكان معه وحده فلما بلغ المغمس
خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك
ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره و
حجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من
يقع عليه فهربوا وهلكوا في كل طريق ومنهل وروي ان ابرهة تساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن
قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما
وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل ابرهة
عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت
من عيني حيث لا تهتم بالبيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني
فيه الحاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه ثم اتى باب الكعبة
فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها
لطير غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله
عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلعم وعن عائشة رضه رأيت قائد الفيل
وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله الم يجعل كيدهم
في تضليل الخ بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية
ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم
طيرا ابابيل اي جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها
وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع او
باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
كما ان سجينا علم للديوان الذي كتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا
منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اضيف اليه باكول حاله عن النبي صلعم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل
بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم
من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم
فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف

وقيل تقديره اعجبوا لايلاف

ومهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالف قريش اي لمؤالفة قريش الفا والافا وقرئ
لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار
والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي
اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء
والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين
اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام
وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب
لرسول الله صلعم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله فذلك الذي
يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام
ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم دفعا عنيفا ... ووضع اسم الاشارة المتضمن
لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل
كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه
بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه
وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث
غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله فويل للمصلين لربط ما بعدها بشرط
محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اي يرون الناس اعمالهم
ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كذلك فعدم
المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق
احق بذلك ولذلك رتب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق
لهم فتائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين والرياسة
العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال
اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج
والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين
الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في
صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضه انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا
والدين والفاء في قوله فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر
من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اي المستجاب اي فدم على الصلوة
لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين
فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه وتصدق
على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي الصلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية
وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو المروي
عن النبي صلعم وعن ابن عباس رضه استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص
ان شانئك اي من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن
ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما
لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل واياما كان فالعبرة في عموم الحكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا وروي ان رهطا من عتاة قريش
قالوا يا رسول الله صلعم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله
ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام
وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل
غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل
ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي
ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف
ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته
وقيل هاتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما
بعبادة الله تع وانما قال ما دون من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان
الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي
والاخريان مصدريتان وقيل قوله تع ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تع لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم
عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تع لكم دينكم تقرير لقوله تع لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد

ما عبدتم فكان توقول تعالى ولي دين تأكيد لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على
الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به آمالكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني
الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم او
استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة
على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا
لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم بالسنتكم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لا
ادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتامل عن النبي صلعم من قرا
سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فانه
لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى واماما جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق امره عم بالتسبيح والحمد
والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه الصلوة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عم
عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان
ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس افواجا غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع
النبي عم عشرة الآف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف
على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله عم وقد كان
الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن
ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة
على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان له وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون
فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه
واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس
لنا به يدان وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من
غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له
اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما
على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة
الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه
لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على
الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسه واستقصارا لعمله واستعظاما
لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضه انه كان عم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي عم على اصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال عم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال عم انها لكما تقول فلم ير عم بعد ذلك
ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة
على تمام الدعوة وكمال امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله عم فقال ان عبدا
خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه
عم انه دعا فاطمة رضه فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضه
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في
قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي عم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب والتباب الخسار المؤدي الى الهلاك واسناده الى يديه
لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله عم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا
دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عم به وتب اي هلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني
اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض
بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح لان العزى اسم صنم وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب
وقرئ ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي
شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وكسبه من الارباح والنتائج والمنافع
والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي
عم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضه
ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول محمد ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه
وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله
عليه وسلم قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله
مخافة العدوى وكانت تتقيها كالطاعون فبقي ثلثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فحملوه ودفنوه
فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد
وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات
اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نافيا انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تطبيقه الايمان بالقرآن ان يكون
مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان
يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان
بجميع ما جاء به النبي عم اجمالا لا الايمان تفصيلا بما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم الايمان المستمر وامرأته

عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك
والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي عم وكان عم يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء
بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم
وقيل على الحالية بناء على الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة
أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب على الشتم حتما وقرئ بالرفع
على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريئة بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من
مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل
حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا
من الليف وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى في عنقها
حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها
بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت
أم جميل تأتي بإبالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح
فجذبها الملك من خلفها فأخنقتها بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره
كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء
خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الرابط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصديرها به التنبيه من أول الأمر على فخامة
مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى
الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا
كالذي هو ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود
الرؤوس غيركم فإنها أصلية وقال مكي أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف
فحذفت إحداهما تخفيفا وقال ثعلب إن أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان
ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه
هو الله إذ روي أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله
خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ قل
هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أي هو السيد المصمود إليه في
الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل
الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف
به فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولا ألوهيته عز وجل
المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة

في حقيقته وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها
وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا لهم إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام مفصلة بتحقيق الأحكام السالفة
فقيل لم يلد تنصيصا على إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أي لم يصدر
عنه ولد لأنه لا يجانسه شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه تعالى ولم يولد أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم
إليه سابقا أو لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود
أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو من عطف المتفق عليه
على المختلف فيه كما في تحقيقه ولم يكن له كفوا أحد أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا
قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا والأصالة ويكون كفوا حالا
من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف
والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات
المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها ورد في الحديث النبوي أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد
والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه عن النبي عم أنه قال أسست السموات السبع والأرضون
السبع على قل هو الله أحد أي ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله
أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات
بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول فإن كلا من المفلوق والمفلوق عنه
مفصول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار
والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق
والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد
والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ
ما يخافه كما قيل فلا دلالة للرب بالعائذ في تحرزه تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها من شر ما خلق أي من شر ما خلقه
من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور ومن توهم أن الاستعاذة
ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا للإضافة
الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة
وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله
تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة
وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أي ومن شر ليل معتكر ظلامه
من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق
الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول

الشر لجميع اجزاءه ولا لكل افراده وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي اذا دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه
اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما
روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق
اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون
يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل
الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه
ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات والنفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول
الشر لجميع افرادهن وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس رضه وعائشة رضه انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عم فاعطاها اليهود فسحروه عم فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته
وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اروان فمرض صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل عم بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم
سحره فارسل صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر و
هي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر
فجاؤوا بها النبي عم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة
عند تمام السورتين فقام عم كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عم اما انا فقد عافاني الله
عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضه ما غضب النبي عم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا
هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق
ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار
بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير النبي عم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة
ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر
الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى
اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب
مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس
مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي
مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف
بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما نطق به

قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضارة المختصة
بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق من المضار البدنية فقد عرفت حاله
وتكرير المضاف لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة
وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة
الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا
غفلوا عن ذكر ربهم تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان
للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة او من جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على
الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط
الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان
حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره
قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد بارئ
البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل خائف ملهوف والمجير من
كل هائل مخوف الوذ بحماك المأمون من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز وآوي الى ركنك
الوثيق واسألك من فيض آمين بركتك المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين
واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان
بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واحمني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق
الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية ويخلص نفسي الآبية من دنس
الطبايع والاخلاق وينور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيأ للحضور
في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل اقصى مرامي نيل
رضاك واغتنم ايامي يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين في بقاء بقائك واحشرني
مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الذي لمعانيه و تسع
وتسعمائة حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبيا والمرسلين
والملائكة المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا

حمدا لله على آلائه الظاهرة وصلوة على نبيه ذي المعجزات الباهرة وعلى آله الصحابة الطاهرة وبعد فلما اوزع الله تعالى
انعامه علي واتم احسانه الي اذ وفقني لتصحيح هذا التفسير الجليل المشتمل على تحقيق اسرار التنزيل وسهل لي
الوصول الى بعض النقطة بحسن تيسيره المسمى بقلم المؤلف المولى المرحوم ابو السعود عليه نعمة الودود واللفوة عليه آوان دراسته
وابان رياسته فانتدرت في آخر كل سورة كريمة الى ما كتبته من ذلك البعض المحفوظ بيد ولد ولده النجيب الفاضل
القابع الكامل النحرير الاديب الملقب بالصادق محمد افندي عمره الله تعالى ولم تمكن لي نيل بعضها الا بخلا منه ولا اضنه بل احراجا

للنسخة ومتنا على ملة وتحاسنيا عن النظر ايدي الزمان نقلها من مكان الى مكان والمسئول ممن يتفضل بالنظر من طالعه
ان يترحم على كاتبه ويسأله المغفرة له ولوالديه واسأله تعالى ان يجعله خالصا لوجهه بمنه وكرمه وان يسعدنا بسعادة ابدية
كلما حل بها استار دجا يوح آية من آياته السرمدية علقه العبد الى رحمة ربه الملك الصمد عبد الباقي بن محمد اثابهما ربهما
بالنعيم المخلد وذلك بمدرسة ... المحروسة حين كنت مبتلى بملازمة قضاء ... ولتحق الفراغ من كتابته بعيد العصر الى العتمة
من المحرم الحرام لسنة ست وخمسين والف
تم تسحيح الروح بعد ... التي ... من العلم الصحيح قدر الطاقة ومقابلته
حامدا لله على نعمه الوافرة ومصليا على محمد وآله الطاهرة ... في الدفاتر ... ربهم